وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
سلسلة أدب الخيال العلمي
96

الشجرة

مختارات من قصص الخيال العلمي

ترجمة : حسين تقي سنبلي

الشجرة

سلسلة الخيال العلمي

رئيس مجلس الإدارة
محمد ياسين صالح
وزير الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول
د. شهلة سيدعيسى
المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير
د. طالب عمران

الإشراف الطباعي
أنس الحسن

التدقيق اللغوي
د. محمد قاسم

تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد

الإخراج الفني
ردينة أظن

سلسلة الخيال العلمي (٩٦)

الشجرة

مختارات من قصص الخيال العلمي

عدد من المؤلفين
ترجمة حسين تقي سنبلي

الشجرة

The Tree

إتش. بي. لفكرافت[1]
H. P. Lovecraft

عند منحدر تغطيه الأعشاب من جبل مينالوس في أركاديا ثمَّة أيكة زيتون بحذاء أطلال دارةٍ قديمة، وبجوار الأيكة قبرٌ كان بهي الجمال فيما مضى، وعليه آياتٌ من نحتٍ ساحرٍ، لكنه تآكل الآن كما تآكل المنزل. وعند طرف القبر نمت شجرة الزيتون، واخترقت جذورها الرخام اختراقاً. كانت تلك الشجرة مروعة مهولة، كأنها مسخ، أو جسد إنسان شوهه الموت، حتَّى إن القرويين يخشون المرور جوارها ليلاً حين يبزغ القمر بين الأغصان المهشمة.

إن الجبل مسكونٌ ببان[2] المخيف الَّذي يتبعه كثيرون، ويشك القرويون في علاقةٍ بين الشجرة وأتباع بان، لكن مربياً من مربي النحل يعيش في كوخٍ مجاورٍ حكى لي قصة مختلفةً.

١- هوارد فيليبس لافكرافت: (١٨٩٠-١٩٣٧) كاتبٌ أمريكي للخيال الغريب وخيال الرعب. عُرِف بإنشائه لما أصبح كثولو ميثوس.

٢- Pan.

وفي أوج تألق تلك الدارة عاش نحاتان: (كالوس)، و(موسيدس). وكان عملهما يُمتدح من أليديا إلى أنيابوليم، ولم يجسر أحد على أن يقول إن أحدهما بزَّ الآخر مهارةً. وامتدح كل الناس النحاتين، ولم يخطر على بال أحد أن الغيرة الفنية قد تعكر صفو صداقتهما الأخوية.

لكن طباع كالوس وموسيدس لم تكن متماثلة، ففي حين كان موسيدس يعربد ليلاً وسط ملاهي تيجيا، بقي كالوس في داره ينعم بالجلوس في الأيكة. وهناك يتأمل في الرؤى الَّتي تفعم عقله، ويصمم الروائع الَّتي سيخلدها من الرخام الَّذي يتنفس، وقال السُّذج إنه يستلهم الوحي من الأرواح الَّتي تسكن الأيكة؛ لأنه لم يكن يتخذ أي عارضة حية معروفة. وقيل إنه يستلهم حوريات الغابة بارعات الحسن.

وكان النحاتان على قدرٍ كبيرٍ من الشهرة حتَّى إن أحداً لم يندهش حين أرسل طاغية سيراكوزا رجاله إليهما، ليتفقوا على تمثال تايك الَّذي أراد أن يشيده في المدينة، ويجب أن يكون التمثال هائل الحجم بارع الصنع؛ لأنه سيكون عجيبة البلاد حجَّة المسافرين. ومن أجل هذا الشرف طلب من كالوس وموسيدس أن يتنافسا، وطلب منهما ألَّا يخفي أحدهما عمله عن الآخر، بل يمنحه النصح والرأي، وهكذا سيكون لدى المدينة تمثالان أجملهما تذوي أمامه أخيلة الشعراء.

ورحَّب النحاتان بعرض الطاغية، ولم يسمع الخدم إلَّا ضربات الأزاميل أياماً متواصلةً، ولم يخفِ كالوس وموسيدس ما صنعاه بعضهما عن بعضٍ، لكنها أخفياه عنَ العالم. ذلك الجمال الَّذي كان حبيس الصخر منذ الخليقة، بانتظار إزميل بارع يحرره.

وكان موسيدس يقصد ملاهي تيجيا في الليل كعادته، في حين أن كالوس هام في أيكة الزيتون، ولكن إذ مضى الوقت لاحظ الناس في موسيدس افتقاراً إلى المرح، وبدا لهم هذا غريباً . ومرَّ الوقت، ولم يرَ الناس في وجه موسيدس ذلك الحماس المتوقد المتوقع.

ثم تكلم موسيدس ذات يوم عن مرض أصاب كالوس، ففهم الجميع سر اكتئابه؛ لأن صداقة الرجلين كانت قويةً مقدسةً. وذهب كثيرون ليروا كالوس، وكان وجهه شاحباً لكنه كان سعيداً، ما أعطى نظرته سحراً يفوق نظرة موسيدس، الَّذي كان شارداً مشتتاً، وقد أبعد كل العبيد عن صديقه ليتفرغ للعناية به، وخلف الستائر كان تمثالان لم يمسهما المريض وصاحبه من زمن.

وازداد وهن كالوس مع محاولات الأطباء الحائرين، وعناية صديقه الفائقة به، وتمنى أن يحملوه إلى الأيكة الَّتي أحبها !!

وجاء أجل كالوس، وبكى موسيدس كثيراً، ووعد صاحبه بضريح رخامي أجمل من قبر (موسولوس)، لكن كالوس منعه من الكلام عن الرخام ثانية، ولم يطلب إليه إلَّا شيئاً واحداً، أن تُدفن فروعٌ من أشجار زيتون معينة جوار قبره لصيقة برأسه، وسرعان ما مات!!

وكان ذلك الضريح الَّذي بناه موسيدس لصديقه الحبيب جميلاً جمالاً يفوق الوصف، ولم تُزرع غصون الزيتون كما طلب كالوس، فما إن انتهى الحزن حتى بدأ موسيدس يعمل في تمثل تايك، فالمجد مجده الآن ولا ريب، فطفق يعمل بلا انقطاع، أمَّا في الليل فكان يسهر بجوار قبر صاحبه، حيث نمت شجرة زيتون قرب رأس النائم، وكان

نمو الشجرة سريعاً، وكان شكلها غريباً يوحي بالفتنة والنفور معاً.

وبعد ثلاثة أعوام من وفاة كالوس أرسل موسيدس برسالة إلى الطاغية، وتهامس القوم في أسواق أثينا أن التمثال العظيم قد انتهى، وبلغت الشجرة آنذاك حجماً خرافياً يفوق أي شجرة أخرى، وجاء كثيرون ليروا الشجرة وينعموا بنحت موسيدس. وبهذا ما عاد الفنان وحيداً قط، لكنه لم يتضايق لهذا، بل كان يهاب الوحدة بعد ما انتهى العمل الَّذي شغف حواسه.

اكفهر وجه السماء في الليلة الَّتي جاء فيها رسل الطاغية إلى تيجيا، وعرف الجميع أنهم جاؤوا ليحملوا تمثال تايك العظيم، ويجلبوا المجد لموسيدس.

وكان الرجال سعداء، وقد راحوا يتحدثون عن الطاغية المتألق، وعن عاصمته العظيمة، ثم تكلم رجال تيجيا على طيبة قلب موسيدس وصلاحه، ومدى حزنه من أجل فَقْد صاحبه.

وتزايد عُواء الريح، فشعر رجال سيراكوزا وأركاديا بالتوتر، فشرعوا يصلّون!!

وفي الصباح اتجه رسل الطاغية إلى المنحدر ليروا التمثال، لكن ريح الليل كانت فعلت أفعالاً غريبةً، وتعالى صراخ العبيد من بين الخرائب، ولم يبد أثر لغرفة نحت موسيدس، لأن فوق هذا البناء الجليل المترف سقط غصنٌ ثقيلٌ من الشجرة الجديدة، ليحيل تلك القصيدة البارعة المنحوتة من الرخام إلى حطام قبيح. ووقف الغرباء

وسكان تيجيا يرمقون تلك الشجرة العجيبة الَّتي تمتد جذورها إلى أعماق قبر كالوس، والَّتي بدت بشرية في هذه اللحظة. وأصابهم الهلع، وازدادوا فرقاً لمَّا راحوا يبحثون عن موسيدس وسط الحطام، فلم يجدوا أثراً له.

وحزن الفريقان، حزن أهل سيراكوزا لأنه ما عاد لهم تمثال يحملونه إلى الوطن، وأهل تيجيا لأنه ما عاد عندهم فنان يتوّجونه، وانصرفوا كاسفي البال.

إلَّا أن أيكة الزيتون ما زالت ثمَّة، كما ما زالت الشجرة الَّتي تخرج من قبر كالوس، وقال لي مربي النحل العجوز إن بعض الأغصان تهمس لبعض مراراً وتكراراً في رياح الليل:

- أنا أعرف! أنا أعرف!!

غابة الأموات

The Wood of the Dead

ألجيرنون بلاكوود[1]
Algernon Blackwood

دخلتُ في يوم صيفيٍّ وفي أثناء تجوالي نُزلاً لأتغدى، وكنتُ أحمل حقيبةً على ظهريَ. وبينما أنا كذلك، إذْ فُتح باب النُزل، ودخل منه رجلٌ ريفيٌّ عجوزٌ، ومَرَقَ بالقرب من مائدتي، ومن ثمَّ جلس وحده بهدوءٍ شديد في مقعد بجانب النافذة. فتبادلنا النظرات، أو بالأحرى تبادلنا الإيماءات والإشارات؛ لأنني لم أرفع عيني في الواقع إلى وجهه آنذاك، فقد كنتُ أرغب أشد الرغبة في سبر أغوار هذا البلد القاسي والسير في أركانه.

وشرع الرذاذ الدافئ الناعم الَّذي تجمَّع صباحاً حول ذوائب الأشجار يتهاطل مطراً غزيراً، وقد اربدَّ وجه السماء واكفهر. وكان النهار يذوي ناشراً في السماء ضوءاً ذهبياً خافتاً. كان ذاك اليوم أحد تلك الأيام

١- ألجيرنون بلاكوود (١٨٦٩- ١٩٥١) لْجِرْنُونْ هنْريّ بْلاكْوودْ (١٤ مارس ١٨٦٩ - ١٠ ديسمبر ١٩٥١) كان راوياً إنجليزيًا للبثَ، وَصحفيًا، وروائيًا، وكاتب قصص قصيرة. ولديه اهتمام طويل الأمد بالظواهر الخارقة للطبيعة، والخوارق، والروحانية، وكان يؤمن إيمانًا راسخًا بأن البشر يمتلكون قدراتٍ كامنةً.

الَّتي تميز سمرست وشمال ديفون، عندما تتألق البساتين، وتضيف المروج إليها إشراقاً خاصاً بها، فتزهو الأعشاب، وتتلألأ الأوراق.

وسرعان ما دخَلَت ابنة صاحب النزل تحمل كوباً من شرابٍ، وهي فتاة ريفيةٌ جميلة المحيا، ضئيلة الجسم. وسألتني عن أحوالي، واطمأنت على راحتي، ومن ثَمَّ خرجت من حيث دخلت. والظاهر أنها لم تلحظ ذاك العجوز بجانب النافذة، ولا هو انتبه إلى وجودها؛ لأنه ظلَّ يرنو في النافذة ولم يلتفت.

وكان من عادتي ألَّا ألتفت إلى النزلاء الآخرين في الغرفة، غير أن نظرات ذاك الرجل الخاوية الفارغة في النافذة، وعدم اكتراثه بمحادثتي، جعلتني أسترق النظر إليه غير مرة. ثمَّ وجدتُ أنني أسائل النفس لمَ يجلس هناك صامتاً لا يحرك ساكناً، ولا يلتفتُ إلى أحد.

رأيتُهَ رجلاً أحدباً يلبس أسمالاً، وقد تجعَّد وجهه وتغضَّن تجعّد الأرض العطشى وتغضّنها، واستقرَّ رأسه فوق كتفين سمينتَيْن. ولم يكن يعتمر قبعةً، ولا يحمل واحدةً. ولاحظتُ أن لرأسه الَّذي يعلوه الشيب سيماء النبالة وعلائم الرفعة.

فأثارني تجاهله لوجودي وأغضبني، واستنتجتُ أنه لربما كان ذا صلة بهذا النزل، وأن له الحق في استخدام الغرفة كما يحلو له. فأكملتُ غدائي من دون أن أنبس، ثمَّ انتبذتُ مجلساً لأدخن غليوني قبل أن أنطلق في مسيرتي.

وأنفذت النافذة روائح الأشجار المتفتحة الثمار، وقد خالط عبيرها عبير الأزهار الحمر الَّتي تتوج النافذة. وكانت البساتين المترعة تتلألأ في ضوء الشمس، وتتراقص الأفنان مع نسائم البحر العليلة.

كان مكاناً تحلو فيه الإقامة، ويطيب فيه الاسترخاء طول اليوم، ومراقبة الفراشات تطير هنا وهناك، والاستماع إلى زقزقة العصافير الَّتي تملأ أركان السماء. فجعلتُ أفكِّر جاداً في أن أبقى لأستمتع بما أرى وأسمع، على أن أواجه تلك المسيرة المتعبة الَّتي تنتظرني، وإذْ بالرجل ذي الأسمال يلتفتُ إليَّ أول مرةٍ ويبدأ في محادثتي.

وكان في صوته نبرات حالمة شجية تنسجم مع اليوم والمنظر الَّذي يمتد أمامي، لكنه بدا لي بعيداً جداً، وكأنه يأتني من غورٍ سحيقٍ. وفوق ذلك، لا تجد في نبرات صوته تلك القسوة والخشونةَ الَّتي يتوقعها المرء عندما يشاهد صاحبها. ورأيتُ الوجه كاملاً أول مرةٍ، فراعني أن أرى تلك العيون الساجية الهادئة، الَّتي تتناغم ونبرات صوته الحالمة، وتتناقض ومظهره الخشن، وأسماله القذرة. وكانت كلماته كما أذكر:

«أأنتَ غريبٌ عن هذه الأنحاء؟»، أو «أهذه الأنحاء غريبةٌ عنكَ؟».

ولم أسمع في كلماته مدحاً ولا تقريظاً، كتلك الكلمات الَّتي تصدر من أفواه القرويين وهو يحادثون الغرباء، بل كان في مكانها لطافة ونعومة، وتعاطفاً وتهذيباً.

فقلتُ إني أطوف هذه الأنحاء الجديدة من البلاد على قدمي، وقد أدهشني أن أرى هذا الجمال والروعة فيها لم أعرفه في الخريطة.

قال وهو يتنهد: «عشتُ هنا طول حياتي. ولا أملّ من الرجوع إلى هنا مرات ومرات!».

«فأنتَ لا تسكن في الجوار إذن!؟».

قال: «لقد انتقلتُ...»، وسكت، ثمَّ أردف بعد صمتٍ قصيرٍ وهو يرنو إلى تلك النضرة الجميلة الَّتي تمتد وراء النافذة: «غيرَ أنني آسفٌ على حالي؛ فما عدتُ أرى مكاناً تسطع فيه الشمس بهذا الدفء، وتفوح من أزهاره هذه الرائحة الزكية، أو أسمع تلك الموسيقا العذبة الصادرة من الجداول والرياح...».

وتلاشى صوته مع صوت الأفنان الضاربة على النافذة؛ إذْ أشاح بوجهه عني وهو يحادثني، وجعل ينظر إلى الحديقة. وكان من المستحيل عليَّ أن أُخفي عجبي واندهاشي، ففتحتُ عيوني على سعتهما، وهذا الكلام الشجي الشاعري يداعب آذاني ويصدر من رجلٍ خشنٍ مبتذلٍ كهذا.

قلتُ في آخر الأمر بعد أن أيقنتُ أنه لن يقول المزيد: «أنتَ على حقٍ! ولعلَّ شيئاً سحرياً يقبع في هذا المكان. شيءٌ ساحريٌّ حقاً جعلني أتفكّر في أيام طفولتي، قبل أن يعرف المرء أيّ شيءٍ عن...».

وشدني شيءٌ ما إلى البوح بهذه الكلمات، وكأن قوة داخلية دفعتني. ولكنَّ السحر قد انقضى، وما عدتُ أتذكر ما كنتُ أريد قوله منذ لحظاتٍ.

ثمَّ استأنفتُ القول بصوتٍ متهدجٍ: «الحق يُقال. سحرني المكان، وأنا أفكر ألَّا أبرحه...».

وكان يدور في خلدي أنه من الغريب أن أحادث غريباً صادفتُه في نُزلٍ ريفيٍّ بمثل هذه الأحاديث الودية؛ إذْ كان طبعي دائماً أن أقطِّب في أوجه الغرباء ولا أكلمه إلَّا بفظاظةٍ. وكنا مثل شخصين التقيا في حلمٍ،

وجعلا يتحادثان صامتين، وعلى وشك أن يتنقلا في حدود الزمان والفضاء، فلا تقيدهما قيود الدنيا الفانية، ولا تحدهما حدودها الصارمة. غير أن دهشتي سرعان ما استحالت شعوراً مختلفاً، لمَّا أدركتُ أن ضيفي الغريب قد أشاح عن النافذة، وجعل يحدد النظر إليَّ بعينين برَّاقتين كالجذوتين. وكان قد ركَّز نظره على وجهي تركيزاً شديداً، واستحال سلوكه بغتةً سلوك الحذر المتيقظ. كان فيه شيئاً غريباً شعرتُ به الآن أول مرة، أسرى في ظهري قشعريرةً ورعدةً. وتظاهرتُ بعد الاكتراث بنظراته والخوف يشملني!!

قال بصوت أخفض من السابق وأعمق: «ابقَ إذن مدةً أطول!! وسأعلمكَ عن أخباري وسبب قدومي...!».

وأمسك بغتةً عن الكلام، فشعرتُ بقشعريرةً تسري في جسدي.

فقلتُ ولا أكاد أدرك ما أقول: «لديكَ إذن سببٌ. سببٌ في رجوعكَ!؟».

فأردف بالصوت المرعب نفسه: «حتَّى أنادى شخصاً على استعداد للقدوم، لكنَّ غايته أسمى وهدفه أنبل...»، وكان في سلوكه حزنٌ حيَّرني وزاد في دهشتي.

فشرعتُ أقول وفي صوتي ارتعاشٌ لا يوصف: «أتعني...؟!».

«جئتُ من أجل رجلٍ سرعان ما يرحل، وإن كان رحيله يماثل رحيلي!!».

ورماني بنظرات ثاقبة مرعبة، غير أني قابلتُ نظراته بمثلها وحددتُ النظر إليه، مع الرعب الَّذي دبَّ في جوارحي وأوصالي،

وشعرتُ بشيءٍ يعكّرني لم أعهده من قبل، ولا أستطيع تسميته، أو أعرف كنهه. وشعرتُ وكأن الماضي والمستقبل يجتمعان معاً في حاضرٍ ثقيلٍ، فجعلتُ أتململ في مقعدي.

وأشاح الرجل عن وجهي، فانزاح ما أثقل صدري، وشعرتُ بعوالمي تثوب إليَّ.

وسمعتُ العجوز يقول: «تعال الليلة!! تعال إليَّ الليلة إلى غابة الأموات. تعال في منتصف الليل...».

وتشبَّثتُ على الرغم مني بذراع مقعدي حتَّى أُسند نفسي؛ لأنني عرفتُ أنني أحادث رجلاً يعرف أكثر ممَّا نعرف. فوعدته بأن أفعل، وأثَّر هذا في نفسي تأثيراً عظيماً.

وسكنت نسائم البحر العليلة خارجاً، واستقرَّت البراعم تيجانها. وطارت فراشةٌ صفراء بتكاسلٍ عبر النافذة، وكفَّت العصافير عن غنائها. واشتممتُ رائحة البحر، وأريج الصيف القائظ تنتشر في الحقول والأزهار. اشتممتُ عطر حزيران الَّذي لا يُوصف، وأيامه الطويلة. وداعبتني ترانيم الصيف من المروج الخضر الممتدة الرائعة، وأناشيد الأطفال، وأنغام المزامير، وأصوات الشلالات.

عرفتُ أنني على عتبة تجربةٍ جديدة. تجربةٍ من النشوة البالغة. شيءٌ ما جذبني إلى ذاك العجوز. شيءٌ لا أستطيعُ له تفسيراً، وعرفتُ معنى أن ينتشي الرجل نشوةً عظيمةً، ويلامس أوج السعادة والاغتباط. ودام ذلك أقل من ثانية، ومن ثمَّة اختفى. غير أن لحظة مشابهة لتلك الَّتي راودتني منذ لحظات راودتني الآن، وشعرتُ أن الماضي

والمستقبل يجتمعان في الحاضر كرَّةً أخرى، وأدركتُ أن الألم والمتعة أمراً واحداً، ولهما القوة نفسها؛ لأن المتعة الَّتي اختبرتُها تخالط أيضاً كل الألم الَّذي شعرتُ به، أو يمكن أن أشعر به طول حياتي.

وارتفعت الشمس في كبد السماء، وتعاظمت أشعتها، ثمَّ خبت، وغابت. وتوقفت الظلال عن التراقص فوق العشب، ثمَّ ازدادت عتمةً، ثمَّ تلاشت في الهواء. وشرعت الأزهار تضحك مع هبَّات الرياح الَّتي همست في آذانها همسات الحب الأبدي. وسمعتُ أحداً ينادي عليَّ باسمي مرةً أو اثنتين، وبدأ شعور بالخفة والطيش يسري في جسدي.

وفُتح باب النُزل بغتةً، ودخلت ابنة صاحبه. ووفقاً للمعايير الاعتيادية، كانت فتاةً ريفيةً ساذجةً لطيفةً. هي ابنة النجوم والأزهار البرية، وابنة نور القمر المنير في ضباب الخريف فوق النهر والحقول، ومع جمالها الأخاذ الَّذي لمسته منذ أن رأيتُها، بدت لي قبيحةً. فيا لبلادة عيونها! ويا لضعف صوتها! ويا لتفاهة ضحكتها!

وقَفَت لحظةً بيني وبين مقعد العجوز وأنا أذكر لها الطعام الَّذي أكلته، ومن ثمَّ تنحت جانباً بغتةً، فرأيتُ أن المقعد خالٍ، وأنَّ لا أحد في الغرفة غيرنا. أنا وابنة النُزل.

ولم يصدمّني هذا الاكتشاف البتة، بل على العكس، لقد توقعته؛ إذْ اختفى الرجل كما يختفي من حلم، من دون أن يفاجئني، ويتركني لأكون جزءاً من الحلم من دون أن ينقطع. ولكن، ما أن دفعتُ فاتورتي، وثاب إليَّ وعيي وإدراكي، التفتُ إلى الفتاة، وسألتُها إن كانت تعرف الرجل العجوز الجالس بالقرب من النافذة، وما الَّذي عناه بغابة الأموات.

فجفلت الفتاة، وهي تدير نظرها في أرجاء الغرفة الفارغة، وقالت إنها لم ترَ أحداً. فوصفتُه لها في أدقّ صفاته، فلمَّا ازدادت التفاصيل وضوحاً، شحب وجهها قليلاً، وقالت إنه شبحٌ ولا ريب.

«شبح!! أيُّ شبح!!؟».

فقالت بهدوءٍ: «شبح القرية!»، ثمَّ اقتربت مني بحركةٍ مضطربةٍ تدل على حذرها، وأضافت بصوتٍ خفيضٍ: «يقولون إنهُ يأتي قبلَ الموت!!».

ولم يكن صعباً أن أحرّض الفتاة على الكلام، فأخبرتني بالقصة كاملةً، وهي قصة ملؤها الخرافات الَّتي جمعها الناس على مدى سنين عديدة، والَّتي تدور حول رجلٍ مروعٍ بعينه.

وقالت إن النُزل كان في الأصل مزرعةً يملكها مزارع غريب الأطوار، قضى حياته في فقرٍ شديدٍ وعَوَزٍ، إلى أن مات ابنه في المستعمرات فجأةً، تاركاً له مالاً وفيراً.

فلم يغيّر العجوز من أسلوب عيشه قط، ولم يصرف على شؤونه درهماً، بل سخَّر كلَّ ماله لتحسين أوضاع قريته ومساعدة ساكنيها، وفعل هذا مع الجميع؛ مع من يكره ومع من يحب، وكأن الجميع سواء في نظره، ويستحقون المساعدة والعون. وكان الناس في القرية يخشون جانب الرجل نوعاً ما؛ فهم لا يفهمون غرابته. لكن حبه لهم ورعايته، ورغبته في تقديم يد العون غيَّر كرههم له، واستحال محبةً في وقتٍ قصيرٍ، فأطلقوا عليه لقب (عرَّاب القرية) قُبيل وفاته.

ولكنه بدأ يتصرف قبيل وفاته بغرابةٍ كبيرةٍ، ومع أنه أنفق ثروته بحكمةٍ وحصافةٍ ولم يبذر، غير أن سكان القرية قالوا إن غناه في كبره سبَّب له الجنون. فادَّعى أنه يرى أشياءً لم يرها الآخرون، وأنه يسمع أصواتاً لم يسمعونها، وأن لديه تبصراً. لكنه مع ذلك كان رجلاً مسالماً، رزيناً، قوي الشكيمة، فانقسم الناس معه إلى قسمين: قسمٌ يؤيده ويناصره، وقسمٌ يخافه ويخشاه. أمَّا القسُّ وهو رجلٌ طيبٌ صالحٌ فنظر إليه على أنه رجلٌ مميزٌ وحالة خاصة. وأصبح اسمه عند كثيرين مرافقاً للقوة الروحية والخوف والغموض، فشرع الناس يقولون عنه الأقاويل، ويتحاشونه في طريقهم، ويتجنبون الاقتراب من بيته بعد حلول الظلمة. لم يفهمه أحد، لكن معظم أهل القرية أحبوه.

وأردفت الفتاة وهي تشير إلى أيكةٍ من أشجار الصنوبر عند سفح تلةٍ وراء المزرعة أن (غابة الأموات) هناك؛ لأنه قال إنه رأى أمواتاً يطوفون فيها ويغنون قبل أن يموت أحد في القرية. ولم يخرج أحدٌ ممَّن دخل فيها. وكان الرجل غالباً ما يذكر أسماء لزوجته، الَّتي كانت تذيعها على سكان القرية بعد أن يأتمنها زوجها عليهم، ووجدوا أن من يذكرهم ويدخلون الغابة يموتون.

وكان يطوف في ليالي الصيف القائظة بين أشجار الصنوبر متكئاً على عصا، لا يعتمر شيئاً. فقد أحب تلك الغابة، وقال إنه قابل كلَّ أصدقائه القدامى هناك، وأنه يتمنى أن يمشي إلى هناك يوماً ما وألَّا يرجع. وجاهدت زوجته أن تجعله يكف عن عادته تلك، لكنه

استمر في تجواله وتطوافه. فتبعته ذات مرةٍ، ووجدته واقفاً تحت صنوبرةٍ عظيمةٍ ثخينةٍ، يحادث شخصاً لم تره، فاستدار، ووبخها بلطفٍ كبيرٍ، غير أنها لم تكررها مرةً أخرى، قائلاً لها:

«يجب ألَّا تقاطعني يا ميري وأنا أحادث الآخرين؛ لأنهم يعلمونني أشياء رائعة كما تعرفين، ويجب أن أتعلَّم كلّ شيءٍ قبل أن أذهب لأنضمَّ إليهم».

وانتشرت هذه القصة في القرية انتشار النار في الهشيم، حتَّى استطاع الجميع أن يصفوا تلك الأشباح الهائمة بين الأشجار وصفاً دقيقاً، والَّتي قالت المرأة إنها رأتها حيث وقف زوجها. وأصبحت أيكة الصنوبر المسكينة الآن مسكونة بتلك الأشباح والأرواح، وأطلقوا عليها اسم (غابة الأموات).

وفي مساء السنة التسعين من حياته ذهب الرجل إلى زوجته وقبَّلها، وكان سلوكه حينذاك سلوكاً رقيقاً مهذباً، غير أن ثمَّة أمرٌ غريبٌ فيه جعلها تخاف منه خوفاً عظيماً، وقالت إنه كان أقرب إلى شبحٍ منه إلى رجلٍ.

قبَّلها على خديها، لكن عيانها بدتا وكأنهما يرنوان إلى عينيها مباشرةً وهو يكلّمها قائلاً:

«زوجتي الغالية! إني أودعك الآن؛ لأنني ذاهبٌ إلى غابة الأموات، ولن أعود. لا تتبعيني! ولا ترسَلي أحداً يبحث عني! ولكن، استعدي لأن تذهبي بنفسكِ في هذه الرحلة!!».

فانفجرت المرأة الطيبة بالدموع، وحاولت أن تردعه غير انه انزلق بسهولةٍ من يديها، فخافت أن تتبعه. ورأته يعبر الحقول تحت أشعة الشمسٍ، ومن ثمَّ يدخل إلى ظلال الأيكة الباردة حيث اختفى وما عادت تراه.

واستيقظت في وقتٍ متأخرٍ من ذاك المساء لتجده أنه يستلقي بجانبها في السرير بهدوءٍ وطمأنينة، ماداً إحدى ذراعيه إليها وقد فارق الحياة. وانقسم الناسً بين مصدقٍ ومكذبٍ للقصة، ولكن مع مرور السنين قَبِل الناس في القرية هذه القصةً. وأقيمت له جنازةً حضرها عدد كبير من الناس، ووافق الجميع على اسم (عرَّاب القرية)، فأضافت أرملته هذه الكلمات على شاهدة قبره.

وهذه هي قصة شبح القرية كما أخبرتني بها ابنة صاحب النزل عشية تلك الليلة.

وختمت الفتاة كلامها: «ولكنكَ لستَ أول من يراه، ووصفكَ له يطابق تماماً الوصف الَّذي نسمعه دائماً، ويقولون إن تلك النافذة هي الَّتي اعتاد الجلوس عندها وهو يفكر حين كان على قيد الحياة، ويقولون إنه كان يقضي الساعات وهو يبكي».

فلمَّا بدا لي أن الفتاة اضطربت للقصة قلتُ لها: «وهل ستخافين إن رأيته؟!».

فقالت بتواضع: «أظن ذلك! خاصةً إن كلَّمني...»، وصمتت الفتاة قليلاً ثمَّ قالت: «لقد حادثكَ، أليس كذلك يا سيِّدي؟!».

«قال إنه جاء من أجل أحدهم».

فقالت مكررةً متلعثمةً: «جاء من أجل أحدهم. أقال...».

قلتُ بسرعةٍ من دون أن ألحظ الكدر الَّذي علا وجهها والتهدج في صوتها: «لا! لم يقل من!».

«أأنتَ على يقينٍ يا سيِّدي!؟».

فقلتُ لها بابتهاج: «تمام اليقين! حتَّى إنني لم أسأله!»، فنظرت إليَّ الفتاة بثباتٍ هنيهةً، وكأنها تريد أن تحدثني عن كثيرٍ من الأمور أو تسألني عن كثيرٍ من الأمور. ولكنها لم تنبس، وما لبثت أن التقطت الصينية الَّتي على الطاولة وخرجت من الغرفة على مهلٍ.

وبدلاً من أن ألتزم ما انتويته من قبل، وأقصد القرية التالية فوق التلال، طلبتُ أن يحجزوا لي غرفةً في النزل، وقضيتُ ليلتي تلك أطوف في الحقول، وأستلقي تحت أشجار الفاكهة، وأراقب الغيوم البيض وهي تبحر خارجةً من البحر. ورأيتُ غابة الأموات من بعد، لكنني عقدتُ العزم على أن أزور القرية الَّتي قبروا فيها (عرَّاب القرية) ونصبوا شاهدة قبره، ورأيتُ آثاره الَّتي ابتناها: المدرسة، والمكتبة، وبيت المسنين، والمشفى الصغيرة.

ولمَّا قارب منتصف الليل في تلك الليلة، تسللتُ من النزل، وتزحَّفتُ في الظلمة عبر بستان الفاكهة وحقول التبن، ميمماً وجه التلَّة الَّتي تقع غابة الأموات عند سفحها الجنوبي. ودفعني شعورٌ مبهمٌ لخوض المغامرة، غير أنني أقرُّ بأن قلبي غاص بين ضلوعي وأنا أعبر الحقول في الظلام؛ لأنني كنتُ أقترب من موطن أسطورةٍ ريفيةٍ تناقلتها الألسن عبر السنين، فتطيَّروا منها بعضهم وقدَّسها آخرون.

وقبع النزل ورائي في ظلمةٍ حالكةٍ تغشى الكون، غير أن نجوماً انتشرت في السماء وتزاحمت، فأضاءت السماء وأنارتها بنورٍ خافتٍ وضوءٍ باهت. لفَّ المكان صمتٌ بهيمٌ مطبقٌ، لا أسمع فيها نأْمةً غيرَ ارتطامٍ قدمي بحصواتٍ أو حجارةٍ، فظننتُ أن تلك الأصوات قد أيقظت سكان القرية ولا ريب.

وارتقيتُ التلَّة ببطءٍ وأنا أفكّر بقصة ذاك العجوز النبيل، الَّذي خَدَم سكان قريته أيما خدمة ما أن أتيح له ذلك. وحام فوق رأسي طيرٌ من طيور الليل مرةً أو اثنتين، لكن الخفافيش قصدت النوم منذ زمنٍ، فلا يُرى في المكان أثرٌ للحياة.

ورأيتُ بغتةً أول أشجار غابة الأموات ترتفع أمامي في جدارٍ أسود عالٍ، وانتصبت قممها وكأنها رماح مصوبة على السماء ذات النجوم، وسمعتُ صوتاً ضعيفاً صادراً من بين فروعها ونسائم الليل تحركها جيئةً وذهاباً. ثمَّ سمعتُ غمغمةً صدرت بغتةً واختفت على الفور؛ فالريح في تلك الأنحاء تبدو وكأنها في حركة دائمة، فتسمع للأفنان هسهسةً ودمدمةً حتَّى في أهدأ الأيام وأكثرها سكوناً.

ووقفتُ على أعتاب تلك الغابة المظلمة لحظةً متردداً، وهبَّت من التربة رائحة عطرة ندية تقابلني، وواجهتني ظلمةٌ كثيفةٌ. فاستجمعتُ قوتي ولملمتُ شعاث شجاعتي ومضيتُ إلى داخل الغابة.

وسرعان ما أطبق الظلام عليَّ، وأتاني شيءٌ ما من منتصف الظلام ليقابلني. ومن السهل عليَّ أن أعقد بين خيوط مخيلتي والواقع، وأقول إن يداً باردةً أمسكت بيدي، وقادتني إلى أعماق الأيكة عبر مجازات

مجهولة. ولكن، من دون أن أتعثَّر، وكأن من يقودني يعرف خير معرفة المكان الَّذي سأقصده والغاية الَّتي أبتغيها، فمضيتُ إلى الغابة عازماً آمناً. وكانت غابةً مظلمةً أشد الظلمة أول الأمر، لا يُرى أثر لضوء النجوم ينفذ من بين الفروع الَّتي فوقي، واصطفت الأشجار الواحدة بحذاءِ الأخرى، وكأنها أفراد جيش عرمرم لا يُؤتي أدنى حركة.

ثمَّ وصلتُ أخيراً إلى فسحة، فرفعتُ ناظري، فرأيتُ السماء تكاد تستسلم للنور الجديد الَّذي ينتشر في أركانها.

قال الصوت بجانبي بنبرات بينة غير أنه بدا وكأنه همسٌ صادر من الأشجار: «إنه الفجر قادم! ونحن الآن في قلب غابة الأموات!».

فجلستُ على جلمود تغطيه الطحالب، وجعلتُ أنتظر شروق الشمس. وبزغ الصباح بسرعة على حين غرة، وعندما أفاقت الرياح وبدأت تهامس ذوائب الأشجار، نفذت أشعة الشمس الأولى من بينها واستقرت في دائرة أسفل قدمي.

همس رفيقي في الصوت العميق نفسه: «تعال معي الآن! فلا وجود للزمن هنا، والشيء الَّي أريد أن أريكَ إياه هناك!».

ودعسنا على إبر الصنوبر الناعمة بلطف وهدوء، وكانت الشمس في كبد السماء، وأخذت ظلال الأشجار تقارب قواعدها. وازداد تكاثف الغابة مرةً أخرى، لكننا عبرنا من خلال فسحات صغيرة، وشممتُ فيها رائحة الإبر الرطبة وهي تجفّ تحت أشعة الشمس الحارقة. وسرعان ما قاربنا حافة الأيكة، ورأيتُ حقل تبن يقبع تحت رحمة الأشعة الحارقة، وحصانين مربوطين بعربة جرّ ينعمان بالدفء.

ورمى رجلٌ مذراةً على العربة، وتقدم الحصانين وهو ممسكٌ باللجام بيدٍ. كان رجلاً طويلاً موفور العضلات، سفعته الشمس في رقبته ويديه. ثمَّ رأيتُ فتاةً نحيلةً بين أكوام التبن، ومع أنني لم أرَ وجهها، غير أن شعرها البني كان يتطاير تحت قلنسوتها الَّتي تقيها حرَّ الشمس، وكانت ممسكةً بمذراةٍ بيديها السمراوين. كانت الفتاة تحادث السائق وتبادله الضحكات، وكان السائق يلقي عليها نظرات الإعجاب من حينٍ لآخر، فتبتسم الفتاة لنظراته، وتحمر خجلاً.

وسلكت العربة طريقاً على حافة الغابة حيث جلست. وجعلتُ أرقب ما يجري باهتمامٍ بالغٍ، فغفلتُ عن الخطوات الغريبة المقتربة مني.

صاح الشاب وهو يفتح ذراعيه: «هيا انزلي!! وامشي معي! اقفزي وسأمسك بك!!».

فضحكت الفتاة ضحكةً رنانةً جميلةً، بدت لي أنها أجمل ضحكةً تصدر من فتاةٍ سمعتُها في حياتي وقالت: «آه منكَ!! حسنٌ، حسنٌ!! لكن تذكر أنني ملكة التبن، ويجب أن أركب العربة!!».

فصاح الشاب: «يجب إذن أن أركب بجانبك!»، وصعد على الفور إلى مقعد السائق. لكن الفتاة نزلت وهي تضحك، وشرعت تركض على طول الطريق. واستطعتُ أن أراها بوضوح، وأرى حركاتها الطربة الرشيقة، ونظرات الحب الَّتي رمت الشاب بها من فوق كتفيها لتتيقن بأنه يلحق بها. ومن ثمَّة توقفت، فهي لم ترغب بالركض إلى الأبد.

ولحقها الشاب الأسمر الضخم بخطوتين واسعتين، تاركاً الحصانين ليفعلا ما يحلو لهما. وسرعان ما طوَّق الخصر النحيل

بذراعيه، وضمَّ الفتاة إلى صدره. وعندها صاح العجوز الَّذي بقربي صيحةً هائلةً مستطيلةً، ونفذت الصيحة إلى قلبي كأنها النصل.

ونادى الفتاة باسمها، فسمعته، فتوقفت هنيهةً، ثمَّ نظرت إلى الخلف بعينين مرتعبتين، ثمَّ انتحت ناحيةً وهي تتنهد بيأسٍ، وغاصت بين ظلال الأيكة.

لكن الشاب صاح بها بصوتٍ ملؤه الحب والعاطفة: «ليس بذلك الطريق يا حبيبتي!! ليس بذلك الطريق!! فإنه يؤدي إلى غابة الأموات!!».

وألقت عليه بنظرات حب، وتطاير شعرها في الريح وكأنه سحابة تحت الشمس. وأصبحت في اللحظة التالية بقربي، تستلقي على صدر رفيقي، وكنتُ على يقينٍ بأنني سمعتُ تلك الكلمات تصدر منها وهي تتنهد: «أبي! ناديتني، فلبيتُ النداء! وأتيتكَ طائعةً؛ لأنني تعبة مكدودة نصبة!!».

أو هكذا بدت لي الكلمات، واختلطت معها كلمات ذاك الهمس المهول الَّذي أعرفه: «ويجب أن تنامي يا طفلتي الغالية! نامي وقتاً طويلاً جداً! إلى أن يحين وقت رحلتكِ ثانيةً!!».

وعرفتُ وجه الفتاة. كانت ابنة صاحب النزل. ثمَّ انفجر الشاب في عويلٍ ونحيبٍ، واستحالت السماء بغتةً سوداء كسواد الليل المطبق، وشرعت الريح تعصف، وترمي بالأغصان من حوالينا، وشمل المكان برمته سواد بهيم مطبقٌ.

وشعرتُ ثانيةً بالأصابع الباردة تمسك بيدي، وقادتني إلى حافة الغابة من حيث أتيت، وعبرتُ حقول التبن، وتزحفتُ إلى النزل، وذهبتُ إلى سريري.

واتفق أنني زرتُ الأصقاع نفسها بعد سنة، فعادت إليَّ ذكريات ذاك الصيف الغريب ورؤياه، فقصدتُ الغابة الغريبة، وشربتُ الشاي تحت ظلال أشجار البستان نفسها وفي النُّزُل نفسه.

لكن فتاة الحانة لم تظهر، فسألتُ والدها عنها واستفسرتُ عن أمرها، فقلت له مازحاً: «تزوجت من غير ريبٍ!»، ثمَّ ضحكتُ، لكن شعوراً غريباً تملَّكني.

قال صاحب النزل بنبرات حزينة: «لا يا سيِّدي! لم تتزوج! مع أنها كادت تتزوج. لقد ماتت. أصابتها ضربة شمس شديدة في حقل التبن، بعد بضعة أيام من وجودكَ هنا إن لم تخني الذاكرة، وتركتنا في أقل من أسبوع...».

في المستنقعات

Across The Moors

وليم فراير هارفي[1]
W. F. Harvey

كان ذلك سوء حظٍّ عظيماً لا محالة!! فقد كانت بِيجي محمومةً وحرارتها تكاد تصل إلى المئة، وتؤلمها خاصرتها ألماً عظيماً، فعرفت السَّيِّدة وركينغتون أنه التهاب الزائدة الدودية. ولكنّ، ليس ثمّة أحدٌ يرسلونه في طلب الطبيب.

وكان جيمس قد ذهب بالعربة الخفيفة ليقابل زوجها الَّذي ارتحل في رحلة صيد منذ أسبوع. وذهب أدولف من قبله بنصف ساعة يحمل رسالةً إلَى السَّيِّدة إيفا في إيفرشامس. وعجزت الطاهية عنٍ المشي، بعد ما لاقته من تعب بعد الغداء. أمَّا كيت فلا يمكن الوثوق بها كالعادة، فلم يبقَ أمامهم إلَّا الآنسة كريج.

نادت السَّيِّدة وركينغتون بانكروفت على مربية الأطفال، فلمَّا دخلت قالت السيِّدة:

١- وليم فراير هارفي (١٨٨٥-١٩٣٧) كاتب إنجليزي للقصص القصيرة، اشتهر بأعماله في مجال الرعب والغموض.

– ترين طبعاً أن بِيجي مريضةٌ مهدودةٌ، والمشكلة أنني لا أجد من أرسله في طلب الطبيب...

ثمَّ أمسكت السيِّدة هنيهةً عن الكلام، وكانت تضمر في قلبها رغبةً دائمةً أن يعرض المرؤوسون خدماتهم عليها من دون أن تطلب إليهم ذلك. ثمَّ أردفت تقول:

– لذا يا آنسة! لعلَّك لا تمانعين في الذهاب في طريق مزرعة تيبت!! فلقد سمعتُ أنَّ ثمَّة طبيباً من ليفربول يعيش هناك. وأنا لا أعرف عنه شيئاً، لكننا يجب أن نخاطر، ولا ريب في أنه سيُسر إن كسب بعض المال في العطلة. لا تبعد المزرعة إلَّا أربعة أميال، وما كنتُ أزعجتكِ بالسؤال لولا أنها الزائدة الدودية اللعينة!!

قالت الآنسة كريج: – طيب! سأذهب، لكنني لا أعرف الطريق!

قالت السيِّدة بصوتٍ متهدج خشية أن ترفض خادمتها الذهاب: – لن تضيعيه! سيري في طريقٍ المستنقع مسافة ميلين، إلى أن تصلي إلى تقاطع رِدمان. ومن ثمَّ تنعطفين إلى اليسار، واتبعي المجاز الَّذي يؤدي عبر دغل الصنوبر، وستجدين مزرعة تِيبت أسفل الوادي.

فلمَّا همَّت الفتاة بمغادرة الغرفة أضافت السيِّدة تقول: – وخذي الكلب معك! لا شيء يدعو إلى الخوف بلا ريب، لكنني أتوقع أن تسعدي برفَقة الكلب!

قالت الطاهية والآنسة كريج تمضي إلى المطبخ لتحضر حذاءها، وكانت وضعته بقرب النار لتجففه: – أمرك سيِّدتي!! هي تعرف الأفضل لا محالة. لكنني لا أرى أن هذا يجوز بعَد الَّذي حصل للمدبرة

أن ترسلك عبر المستنقعات في ليلة كهذه. وكأن الطبيب – إن جلبتيه! – سيساعد الآنسة مارغريت. يتعرض كل طفلٍ إلى مثل هذه الحالة من حينٍ لآخر. لن يقول شيئاً غير: «ضعوها في السرير، وهي في السرير أصلاً!!».

وقالت الآنسة كريج للطاهية وهي تلبس حذاءها وتعقده: – لا أعرف مماً تخافين، إلاّ إن كنتِ تؤمنين بالأشباح!!

– لستُ على يقينٍ بهذا الأمر! على كل حالٍ، أنا لا أحب النوم في سريرٍ تطير فيه المُلاءات. لا تخافي يا آنسة، فنباحهم أسوأ من عضاتهم!

ومع أن الآنسة كريج سلَّت نفسها قليلاً بتخيل عضَّة الشبح، لم تكن مرتاحةً تمام الراحة؛ فقد كانت مضطربةً متوترةً بعد أن سمعت أطرافاً من أحاديث عن قصصٍ حقيقةٍ تناقلتها ألسن الخدم في الفناء الخلفي من البيت الَّذي تخدمُ فيه..

وبعث في جسدها اسم تقاطع رِدمان الرعدة والقشعريرة، فلا ريب في أنه المكان الَّذي حصلت فيه تلك الجريمة المروعة. ومع أنها نسيت تفاصيل ما حصل، بقي الاسم عالقاً في ذهنها.

وجاءتها نكبتها الأولى.

كان الكلب من طبعه بليداً، بطيء الفهم، ولم يدرك أنه يرافق مربية الأطفال إلاّ بعد خمس دقائق، لكنه ما إن اكتشف الأمر حتَّى لوى ذيله، وما عاد يهتم بصفير الآنسة كريج الضعيف. ومن ثمَّ هطل المطر، فزاد الطين بلَّةً، وزاد بؤسها بؤساً. ولم يكن مطراً غزيراً، بل زخات أخفت ما على المستنقع من دلالات وعلامات.

وكان أهل مزرعة تيبت طيبين جداً معها، والطبيب غادر راجعاً إلى ليفربول في الليلة الماضية، لكن زوجته أعطتها حليباً ساخناً وكعكاً طرياً، وعرضت عليها أن يرافقها ابنها - على كرهه لهذا الأمر - ليريها طريقاً مختصرةً عبر المستنقع، فتتجنب بذلك غابة الصنوبر.

كان شاباً متجهماً كئيباً، غير أن وجوده بعث البهجة في نفسها، وشعرت أن الليل ازداد ظلمةً بعد أن تركها عند البوابة الأخيرة.

وشرعت تسير ضجرةً متبرمةً. وقد عادت بها أفكارها إلى نباح الأشباح الَّذي أنهكها. عندها سمعت خطوات على الطريق خلفها. وظهر شبح رجل، فشعرت الآنسة كريج بالارتياح لرؤية أن الغريب كان قساً. ورفع الرجل قبعته. وقال: - أعتقد أننا نسير في الاتجاه نفسه!

فشكرته قائلةً: - يسعدني أن أرافقكَ! فالليل مخيف، وإني أشعر بالخوف بعد كل ما سمعته من أهل القرية عن الأشباح والغيلان!

قال: - أفهم خوفك واضطرابك، ولا سيَّما في ليلة مثل هذه. مرَّت بي أيامٌ كنتُ أخاف فيَها؛ لأن عملَي يتطلَّب مني أحياًناً أن أسير ليلاً في المستنقعات والسبخات إلى مزارع لا يصلونها إلَّا بطرقٍ وعرةٍ ومجازاتٍ عسرةٍ حتَّى في وضح النهار!

- ولم ترَ شيئاً أخافكَ؟ أقصد أرواحاً أو أشباحاً!!

- لا أجزم بأنني رأيتُ. لكنني مررتُ بتجربة سيئة منذ سنوات خلت، وكانت منعطفاً مهماً في حياتي. ولمَّا أنت الآن فيَ حالةٍ تماثل حالتي حينذاك، فسأخبرك بها. «كان ذلك فيَ أواخر شهرٍ أيلول، وكنتُ في ويستونديل في عيَادة رجلٍ عجوزٍ يموت. وفي اللحظة الَّتي

كنتُ فيها عائداً إلى بيتي، وصلتني أخبار عن أحد رعيتي الَّذي أصابه المرض على حين غرةٍ ذاك الصباح. ولم أغادره إلَّا بعد السابعة. ورآني في طريقي مزارعٍ، فلمَّا وصلتُ إلى طريق المستنقع عدتُ من حيث أتيت. وكان غروب مساء اليوم السابق من أجمل ما رأيت، فقد تناثرت غيوم بيض في قبَّة السماء، يشوبها لون وردي زاهٍ، فأصبحت كالوردة العظيمة. لكن كل ذلك تغيَّر تلك الليلة؛ فاكفهر وجه السماء، وازدادت حلكة الليل، ما عدا ركنٍ وحيدٍ في جهة الغرب، حيث ما يزال يُرى أثرٌ من شعاعٍ واهنٍ من شمسٍ غاربةٍ. وشعرتُ بتقرحٍ في قدمي وتيبس، فوهنت روحي، وغاصت بين أضلعي. وكان سببُ ذلك الوهن بلا ريبٍ أنني قارنتُ بين الأمسيتين: تلك الأمسية الجميلة الرائعة الَّتي يملؤها الأمل، وتلك الأمسية المكفهرة المظلمة الَّتي تؤذن بقدوم أيام الخريف والشتاء.

ثمَّ زايلني شعورٌ آخر زاد من وطئ حزني وكآبتي، فعجبتُ من نفسي لمَّا عرفتُ أنه الخوف. ولم أعرف لِمَ أنا خائف. امتدت المستنقعات على الجانبين.. ولم أسمع سوى صوت صراخ يأمرني أن أرجع.. ارجع! ارجع! غير أن خوفي ما زال يلازمني. ويؤثر في دماغي!! فشددتُ معطفي على جسدي، وجاهدتُ أن أُبعد عني تلك الأفكار القاتمة بالتفكير بعظة الأحد القادم. اعتدتُ أن أعظ في بلدة جُب. فالناس هناك لديهم معتقدات قديمة ونظرة منحرفة لما يقوله الإنجيل، مع احترامي لهم جميعاً! وكانت أرضي قد غمرها الفيضان قبل ثلاثة أسابيع مثل أراضي الجميع، فذهب المحصول بأكمله. وفي حين كنتُ أمشي وأنا أردد في نفسي الآيات الأولى من الإنجيل، وتوقفتُ عند

آية فيه أتدبرها .. فذهبت مني أفكاري السود عن الحصاد، وبدوت وكأني أرنو إلى بحرٍ من ظلمات مدلهمة. لقد استخدمتُ في كثيرٍ من الأحيان التشبيه القديم لرقعة الشطرنج، مع قسوة كاهنٍ متعبٍ وغلظته، والَّذي كان من واجبه أن يعظ ثلاث عظات في يومٍ واحدٍ. وكان الإله والشيطان هما اللاعبان: وكنتُ أؤيد أحدهما وأناصر. لكني لم أفكر قطُّ في إمكانية أن أكون بيدقاً في اللعبة حتى حلَّت تلك الليلة. ووصلتُ إلى مكانٍ يشابه ذا المكان الَّذي نحن فيه، وأتذكره جيداً!! عندما قفز رجل بغتةً من جانب الطريق!! فقال لي:

– في أيِّ طريق ذاهب يا سيِّدي!؟

«وعلمتُ من لكنته أنه غريب. وكان أناسٌ كثيرون يأتون هذه الأصقاع من الجنوب في هذه الأوقات من السنة، فيخيمون في جهة الشمال مع أكواز الذرة الناضجة.. وأخبرتُ الغريب بوجهتي.

قال: – سنمشي معاً إذنْ!!

«وكان ظلمة الليل حالكة فلم أتبين وجه الرجل جيداً، غير أني عرفته قاسي الملامح.. ثمَّ بدأ ينتحب ويعول، وأنه قطع أميالاً ذلك اليوم، ولم يدخل في جوفه طعام منذ إفطاره، وأنه فقيرٌ متربٌ.

قال: أعطني مالاً! أجرة مبيت ليلةٍ واحدة!!

«وكان يبري وتداً أخذه من سياجٍ بسكينٍ كبيرةٍ....».

وكفَّ القس عن الكلام، ثمَّ قال:

– أتلك أضواء بيتكم؟ لقد اقترينا أبكر ممَّا توقعتُ. ولكن ما يزال لدي بعض الوقت لأنهي قصتي.. أظن ذلك! ستهرعين إلى البيت، ولا أريدكِ أن تخافي إن خرجتِ إلى المستنقعات ثانيةً.

«أظن أن الرجل أخفى بين طيات كذبه وافتراءاته حقيقةً حزينةً. وسألني عن الوقت، وكانت تُقارب التاسعة. ونظرتُ إلى وجهه. كان مطبقاً أسنانه، وفي عينيه بريق أخبرني بنيته على الفور. أتعرفين طول الثانية الواحدة؟ وقفتُ أرنو إليه في أجزاءٍ من الثانية، وقد غمرني إشفاقٌ كبيرٌ عليه وعلى نفسي. ومن دون أنْ ينبس كان فوقي. ولم أشعر بشيء. وسَرَت في جسدي غُصصٌ، وسمعتُ صوت ارتطام الوتد، ومن ثمَّ طقطقة. شعرتُ بسعادة غامرة لمَّا رأيتُ أضواء منزلي تتعاظم، وكأن الجنة فتحت أبوابها لي... وكانَ موتاً لا ألم فيه...».

ورفعت الآنسة كريج نظرها، وكان الرجل قد اختفى، وكانت وحيدةً في المستنقع.

وهُرعت إلى البيت، وأسنانها تصطك خوفاً. فلمَّا دخلت القاعة، دقَّت الساعة في أعلى الدرج، وكانت العاشرة.

توبرموري

Tobermory

هيكتور هيو مونرو (ساقي)

Saki

كان أصيلاً قراً مطيراً، في أحد الأيام الأخيرة من شهر آب، وفي الوقت الَّذي لا يستقر فيه الطقس على حال، وتكون فيها طيور القنص ملازمةً أوكارها، أو ساكنة أجواف الثلاجات، فما من شيءٍ يُصاد، إلَّا إذا أتيح للمرء أن يتجه شمالاً في قناة بريستول، وفي هذه الحال قد يتسنى له أن ينطلق على صهوة حصانٍ وراء الوعول الحمر السمينة.

ولم يكن القوم الَّذين نزلوا على دار السيِّدة بليملي راغبين في السعي شمالاً في قناة بريستول، وبسبب هذا اجتمعوا جميعهم حول مائدة الشاي في ذلك الأصيل. ومع العَتَمَة الَّتي شملت المكان، والضيق الَّذي خالط المناسبة، لم يبد على القوم أثر من ذلك الضيق الَّذي يجعل النفس تعاف أنغام الموسيقا، وتصدُّ عن طاولة اللَّعب. بل إن اهتمام القوم انصب في دهشة لم يملكوا إخفاءها على شخص السيِّد كورنيليوس أبين الخشن الفظ. إذْ كان الوحيد بين ضيوف السيِّدة بليملي الَّذي جاء محفوفاً بسمعة بالغة الغموض والإبهام. قال بعضهم إنه بارعٌ، فوجهوا إليه الدعوة، علَى أملٍ متواضع من مضيفته أن يسهم بقسطٍ في التسرية عن الجميع. ولكنها لم تُوَفَّق إلى كشف

مكمن براعته، إن كان أوتي براعةً ما . فلم يكن مرهف الذكاء، ولا بطلاً في الكركيت، ولا أُوتي مقدرةً على التنويم المغناطيسي، ولا كان ممن يحذقون في المسرح. ولم يكن في مظهره من الحسن والجمال ما يغطي نقصه العقلي، وانتهى الأمر بين الجماعة إلى أنه مجرد (السيِّد أبين)، ولاح لهم أن اسم (كورنيليوس) كان مجرد ستارٍ شفافٍ زائفٍ خُلِعَ عليه عند تعميده.

ومع ذلك، فقد شرع يزعم أنه طلع على العالم باختراع دونه اختراع البارود، وآلة الطباعة، والقاطرة البخارية. ولقد قطع العلم خطوات مذهلة خلال العقود الأخيرة في كثير من النواحي، ولكن هذا الأمر بدا له، كما لو أنه كان من قبيل المعجزات أكثر منه توفيقاً علمياً.

قال السير ويلفريد يخاطبه: «أترجو حقاً أن نصدق أنك كشفت سبيلاً إلى تعليم الحيوان لغة البشر؟ وأن عزيزنا توبي[1] استطاع أن يثبت أنه أول تلميذ ناجح لك؟».

فقال السيِّد أبين: «هذه مسألة عكفت عليها السنوات السبع عشرة الأخيرة، لكنني لم أَحْظَ ببصيص من التوفيق إلَّا في الأشهر الثمانية أو التسعة الأخيرة. ولقد أجريتُ تجاربي على آلافٍ من الحيوانات، غير أني في المدة الأخيرة قصرتها على القطط... تلك المخلوقات العجيبة، التي راضت نفسها على مدنيتنا، وإن ظلت محتفظةً بكل غرائزها الحيوانية الرفيعة. فبين القطط يعثر المرء من حينٍ لآخر

١- لفظة تدليل لتوبرموري. (المترجم).

على عقلية متفوقة فذَّة، كما هو الشأن بين الآدميين.. وعندما تعرفتُ توبي منذ أُسبوعٍ، رأيتُ أول وهلة أنني قد وقعت على ذكاءٍ استثنائي.. ذكاء فوق مستوى القطط.. وكنتُ قطعتُ شوطاً بعيداً نحو النجاح في تجاربي الأخيرة، ولكني بلغت الغاية مع القطّ توبي، كما تسمونه».

واختتم السيِّد أبين تصريحه بصوتٍ جهد في يبثَّ فيه رنَّة الظَّفَر. ولم يقل أحد إن هذا هراء، وإن كانت شفتا كلوفيس تحركتا حركات أوحت بأنه لا يُصدق. وبعد صمت قليلٍ سألت الآنسة رسكر:

«أتراك جاداً في قولك أنكَ علَّمت توبي أن ينطق، ويعي الجمل المبسطة ذات المقطع الواحد؟».

فقال صانع العجائب في صبرٍ كبير: «إن المرء يعلِّم الأطفال وكبار السن بتلك الطريقة يا عزيزتي، فإذا ما وفق المرء إلى الاهتداء إلى حيوانٍ ذكي ذكاءً رفيعاً، لا تعود به حاجة إلى الأساليب الأخرى، وبوسع توبي الآن أن يتكلَّم لغتنا بإتقانٍ تام».

فقال كلوفيس كلاماً واضحاً هذه المرة: «هذا هراء ليس بعد من هراء!!».

وكان السير ولفريد أكثر تأدباً في تعبيره، وإن أبدى الريبة نفسها. وقالت الليدي بليملي: «ألا يحسن بنا أن نستدعي القط فنحكم بأنفسنا؟!».

وذهب السير ولفريد ليبحث عن القط، ومكث القوم في فتور، وهو يتوقعون أن يروا لوناً من ألوان التسلية الَّتي تجري في قاعات الجلوس عادةً، وقد لا يتجاوز أن يكون نوعاً من الكلام الَّذي يصدر عن

البطن، ذلك الَّذي يفعله بعض المحترفين على المسارح، فيجمعون بين أصواتهم وأصوات ما حملوا من صور رجالٍ من جماد.

وما هي إلَّا دقيقة، حتَّى عاد السير ولفريد إلى الغرفة شاحباً شحوباً يغلب سمرة وجهه، واتسعت عيناه انفعالاً، وهتف: «أنا محقّ والله!!».

ولم يكن ثمَّة مراء في أن اضطرابه كان حقاً صادقاً، فأجفل سامعوه وبدا الاهتمام على وجوههم، وتدافعوا نحوه. وواصل كلامه بأنفاسٍ متهدجةٍ، وقد غاص في مقعده:

«وجدتُه يغفو في غرفة التدخين، فناديته، ودعوته إلى شرب الشاي كعادته، واختلجت أهدابه وهو يحملق فيَّ كعادته، فقلت: «هيا يا توبي! لا تطل انتظارنا!»، فزمجر في وجهي قائلاً في نبراتٍ طبيعيةٍ أثارت في نفسي الهلع، أنه حرٌّ في أن يأتي أو لا، وأنه سوف يأتي حين يحلو له الحضور!!».

وكان أبين ألقى الحديث لأناسٍ أبوا أن يصدقوا، ولكن حديث السير ولفريد حمل الإيمان إلى نفوسهم على الفور. ودلف توبي إلى الحجرة وسط الهرج والمرج، وسار فيها بخطوات ناعمة، وبعدم اكتراث متكلَّف. فخيَّم على القوم صمتٌ مباغتٌ، مفعمٌ بالحيرة والارتباك، واعتراهم حرجٌ في أن يخاطبوا قطاً أليفاً لا يساورهم ريب في مقدرة أسنانه.

وسألته الليدي بليملي في صوتٍ متوترٍ بعض الشيء: «ألكَ في قسطٍ من الحليب يا توبي؟!».

فقال قولاً يغلب عليه عدم الاحتفال: «لا بأس!»، فسرت في السامعين رعدة انفعالٍ مكبوتٍ، وارتجفت يد السيِّدة وهي تصب الحليب للقط - ومن يلومها؟! - فتفت معتذرةً: «أخشى أنني أرقتُ قسطاً كبيراً منه!!».

فقال توبي: «على كلِّ حالٍ، لستُ أنا صاحب غطاءِ هذه المائدة الثمين».

وران الصمت على القوم مرةً أخرى، ثمَّ سألته الآنسة رسكر، في أكثر النبرات الَّتي يلتزمها الزائر في الريف تهذباً، عمَّا إن كانت لغة البشر بدت له عسيرة التحصيل. فحدجها بعينيه، ثمَّ أرسل بصره شارداً لا ينظر إلى شيءٍ، وبدا أن الآنسة المملة كانت بعيدةً عن نهج حياته.

وسألته مافيس بلنجتون في تردد: «ما رأيك في الذكاء البشري؟!».

فسألها توبي بلهجةٍ لاذعةٍ: «ذكاء من منهم بالذات؟».

فقالت في ضحكةٍ واهنةٍ: «لا بأس! ليكن ذكائي مثلاً!».

فقال توبي من دون أن تكشف لهجته ولا مسلكه عن ارتباك: «إنكَ تزجين بي في وضعٍ حرجٍ! فعندما اقتُرح ضمك إلى المدعوين إلى هذا البيت، اعترضَ السيِّدَ ولفريد بأنك كنتِ أقل معارفه من النساءِ نصيباً من العقل، وأن الفارق كبير بين كرمَ الضيافة ورعاية ذوي العقول الضعيفة. فقالت الليدي بليملي أن هذه الميزة هي ما رشحها لأن تكون مدعوة؛ فهي الوحيدة الَّتي أوتيت من الغباء ما يجعلها تشتري سيارتها القديمة. تلك السيارة الَّتي تصعد التلَّ برشاقةٍ إن دفعتها الأيدي».

وكان قول الليدي بليملي جديرٌ بأن يكون ذا أثرٍ شديد، لو لم تكن أوحت عرضاً إلى مافيس في ذاك الصباح بالذات، بأن السيارة الَّتي دار بشأنها الحديث، كانت خير ما يلائمها في ريف هذه المقاطعة.

وأدلى الميجر بارفيلد بدلوه، محاولاً الاتجاه بالحديث وجهةً أخرى، فسأله: «وكيف تسير علاقتكَ بالقطة في حظائر الخيل؟».

فقال توبي في برودٍ: «لا يتحدث المرء عادةً عن هذه الأمور على الملأ. وعلى ضوءٍ بعض مشاهداتي العابرة لسلوككَ منذ أن حللت بالدار، يُخيَّل إليَّ أنك لن تجد من اللائق أن أحول الحديث إلى علاقاتك العابرة!».

وذُعر الميجر، ولم يقتصر الذعر على الميجر وحده؛ فبادرت الليدي بليملي قائلةً: «أيطيب لكَ أن تذهب إلى الطاهي لترى إن كان أعدَّ عشاءكَ؟!».

وتجاهلت أنه كان ثمَّة ساعتان قبل أن يحين موعد عشاء توبي. وقال القط:

«شكراً لك يا سيِّدتي! لا ينبغي أن أتعجل عشائي، وقد شربتُ الشاي منذ حيَن! فلستُ أودُّ أن أموت من سوء الهضم!».

فقال السير ولفريد متحمساً: «لا خشية عليكَ! للقط سبعة أرواح كما تعلم!».

فقال توبي القط: «ولكن للقط كبداً واحدةً!!».

وهنا قالت السيِّدة كورنيت: «أتراك راغبة يا أدليد في تشجيع هذا القط على أن يذهب فيتقوَّل علينا في جناح الخدم؟».

والحق أن الفزع عمَّ الجميع؛ إذْ كان ثمَّة نتوء في واجهة القصر يحفّ بنوافذ معظم غرف النوم، وقد تذكَّر الجميع في هلع أن هذا النتوء كان متنزهاً مفضلاً عند توبي، يتمشى عليه في كافة السَّاعات، حيث يرقب الحمائم، وما لا يعلمه غير الله!! ولم تكن السيِّدة كورنيت الَّتي تقضي شطراً كبيراً من الوقت أمام نضد الزينة، والَّتي اشتهرت بأنها ذات بشرةٍ سمراء متناسقة، أقلّ قلقاً في هذا الصدد من الميجر.

واكتفت الآنسة سكراون ب، أظهرت إجفالاً، وكانت نظمت أشعاراً طافحةً بالشهوة الجنسية الجامحة، وإن لم يكن على مسلكها في الحياة أدنى تثريب. فإن الَّذي يسلك منهجاً فاضلاً مستقيماً في حياته الخاصة قد لا يجد داعياً لأن يُعرِّف كل امرئ بمسلكه!!

أمَّا بيرتي فان تاهن الَّذي أوغل في الغواية منذ أن كان في السابعة عشرة من عمره، فكان كفَّ عن فساده منذ زمنٍ، ومع ذلك تجهَّم لونه، غير أنه ظلَّ في الحجرة ولم يغادرها، كما فعل أودو فينسبيري الَّذي كان شاباً مهذباً ظنَّ الناس أنه كان يعد نفسه للكنيسة. ولعلَّ فكرة فضائح تتعلَّق بسواه قد أزعجته. وكان كلوفيس ركيناً زميتاً، فلم ينم مظهره عن شيءٍ ما.

على أن أجنيز رسكر لم تطق أن تظل متوارية طويلاً، ولو في مثل هذا الموقف الدقيق، فسألت في لهجةٍ مؤثرةٍ: «ما الَّذي أغراني بالحضور إلى هنا؟!».

فاستغلَّ توبي الفرصة ليقول: «إنك تبحثين عن القوت الطيب، على ضوء ما قلت للسيِّدة كورنيت فيَ ملعب الكركيت أمس.. وقد

وصفت آل بليملي في صورة أشد من عرفت كآبة معشر، ولكنهم أوتوا طاهياً من الدرجة الأولى كما قلت، ولولا ذلك لشقَّ عليهم استدراج أي امرئ لأن يكرر زيارته للقصر».

وقالت أجنيز وقد استخذت: «ما من كلمة حقٍ واحدةٍ في هذا.. إنني أستشهد بالسيِّدة كورنيت!».

فاسترسل توبي قائلاً: «لقد ردَّدت السيِّدة كورنيت قولك لبيرتي فان تاهن فيما بعد، وقالت إن هذه المرأة قد ألفت الجري وراء الطعام الشهي، فهي تسعى إلى أي مكانٍ في سبيل أربع وجباتٍ طيبةٍ دسمةٍ في اليوم. وقال بيرتي فان تاهن...».

وعند هذه النقطة سكت الراوي إشفاقاً، وكان لمح القط الأصفر الكبير يسعى من كنيسة الأبرشية إلى الحظائر، خلال الأعشاب الكثيفة. وفي لمح البصر اختفى توبي، وباختفاء هذا التلميذ النجيب، وجد كورنيليوس أبين نفسه معرضاً لزوبعةٍ من اللوم المقذع، والتساؤل القلق، والرجاء الموجس. كانت مقاليد الموقف في يده، ولا بدَّ له من أن يحول دون استفحاله.

ترى أيملك توبي أن يشرك القطط الأخرى في موهبته الخطرة هذه؟

كان هذا أول سؤال عليه أن يجيب عنه، وكان جوابه أن هذا ممكن، وأن توبي ربما كان أطلع صديقه الحميم قط الحظائر على هذا الفوز الجديد فعلاً، وإن لم يكن من المحتمل أنه قطع شوطاً في تعليمه.

قالت السيِّدة كورنيت: «إذن، قد يكون توبي قطاً ثميناً، وحيواناً

أليفاً عالي الشأن، ولكني واثقة بأنك ستوافقين يا أدليد على وجوب القضاء عليه، وعلى قط الحظائر من دون تردد !!».

فقالت الليدي بليملي متحسرةً: «ما أحسبك تظنين أنني استمتعت بربع الساعة هذا الأخير. إنني وزوجي مشغوفان بتوبي. أو هكذا كنا في الأقل قبل أن يُبثَّ فيه هذا الابتكار الرهيب. أمَّا الآن، فمن الطبيعي أن الشيء الوحيد هو إعدامه بأسرع ما يمكن!».

فقال السير ولفريد: «بوسعنا أن ندس بعض السم في عشائه في أي وقت.. وسأذهب بنفسي فأغرق قط الحظائر. ولسوف ينقم علينا الحوذي إعدام حيوانه الأليف، ولكني سأقول إن وباءً سريع الانتشار قد أصاب القطين، ونخشى أن يستشري في الحظائر».

فاعترض السيِّد أبين قائلاً: «واكتشافي العظيم!!؟ بعد كل هذه السنين من البحث والتجربة...».

فقالت السيِّدة كورنيت: «بوسعك أن تذهب فتجري تجاربك على الماشية في المزرعة، فهي تحت رقابةٍ محليةٍ... أو على الفيلة في حديقة الحيوان.. إذْ يُقال إنها على درجةٍ عاليةٍ من الذكاء، ومن حسناتها أنها لا تتسلل إلى مخادعنا، أو تقبعَ تحت المقاعد وما إليها».

ولو أن ملاكاً هبط من السماء ليعلن عودة المسيح ليحكم الأرض، فوجد أن هناك مناسبة قومية تستدعي إرجاء ذلك إلى أجل غير مسمى، ما كانت صدمته أشد من صدمة أبين للاستقبال الَّذي مُني به انتصاره العجيب. ولكن الرأي العام في القصر كان ضده. والواقع أنه لو طرح الأمر على الشعب في استفتاء عام، لكان من المحتمل أن يجد أقلية قوية تطالب بأن يدس السمّ فيً طعامه هو الآخر.

وحال ارتباك في اتخاذ تدابير السفر دون انفراط عقد القوم فوراً، ورغبة ملؤها الانفعال في مشاهدة الفصل الختامي للأمر. ولم يكن في العشاء في ذلك المساء مناسبة اجتماعية موفقة، وكان السير ولفريد عناءً من قط الحظائر ومن الحوذي. وتعمدت أجنيس رسكر أن تبدي الاقتصار على شريحةٍ من الخبز المقدد، راحت تقضمها وكأنها عدو توسعه عضاً. في حين التزم مافيس بلينجتون طول المأدبة صمت الناقم الَّذي يلتزم الثأر. أمَّا الليدي بليملي فمضت تهرف بما كانت ترجو أن يكون حديثاً، ولكن انتباهها شُدَّ إلى الباب؛ فعلى خوان بقربه كانت ثمَّة صحفة عليها شرائح من السمك المسمم، ولكن الحلوى والمشروبات الخفيفة والفواكه قدمت للطاعمين، ولما يظهر توبي في قاعة الطعام أو المطبخ.

وكان العشاء الواجم بهيجاً إذا قورن بما جرى في قاعة التدخين بعد ذلك. فإن الأكل والشرب شغلا القوم عن أفكارهم إلى حدٍّ ما في الأقل، ولفَّا الحرج السائد بحجابٍ. وبعد أن عزف دود فينسبيري في فتورٍ موسيقاه، فاستقبلها المستمعون بوجوم وبرود، أعرض القوم عن الموسيقا. وفي الساعة الحادية عشرة، أوى الخدم إلى مضاجعهم، بعد أن أعلنوا أن النافذة الصغيرة في دورة المياه تُركت مفتوحةً كالمعتاد ليتسلل خلالها توبي. وأنشب الضيوف أبصارهم في مجموعة المجلات الحديثة، ثمَّ تحولوا تدريجياً إلى المكتبة، فأقبلوا على مجلة فكاهية. وراحت الليدي بليملي تتردد من آنٍ لآخر على دورة المياه، وتعود في كل مرةٍ بنظراتٍ كسيفةٍ توقف الأسئلة على الشفاه.

وخرق كلوفيس الصمت المسيطر في الثانية صباحاً قائلاً: «لن يعود توبي الليلة، ولعلَّه في هذه اللحظة بالذات في مكتب الصحيفة المحلية يُملي الحلقة الأولى من ذكرياته».

ثمَّ أوى إلى مخدعه بعد أن روَّح عن رفاقه قليلاً بقوله، فحذا الآخرون حذوه تباعاً..

وجعل الخدم يجيبون عن سؤال تكرر كثيراً: «لا! لم يعد توبي!».

ولم يكن الفطور أبهج من عشاء الليلة السالفة، ولكن الموقف لم يلبث أن انفرج قبل أن يغادر القوم المائدة، فقد نُقلت جثة توبي إلى القصر من البستان حيث عثر عليه البستاني. وبدا واضحاً من آثار الأسنان على عنقه، والفراء الأصفر العالق بمخلبه، أنه اشتبك في صراعٍ غير متكافئٍ مع قط كنيسة الأبرشية الضخم.

ولم ينتصف النهار حتَّى كان معظم الضيوف بارحوا القصر. وبعد الغداء، كانت الليدي بليملي تمالكت نفسها تمالكاً مكَّنها من أن تكتب رسالةً سخيفةً إلى قسّ الكنيسة عن فجيعتها في قطها الثمين الغالي.

وكان توبي التلميذ الناجح الأوحد لأبين؛ فقد قُدِّر له ألَّا يخلفه مخلوق. وبعد أسابيع، تمرَّد فيلٌ لم يسبق له الهياج في حديقة حيوان درسدن، فانطلق من قفصه، وقتل رجلاً بدا أنه كان يعاكسه. وورد اسمه في الصحف محرَّفاً، فكتبه بعضهم (كذا)، وكتبه آخرون (كذا)، لكن جميع الصحف أجمعت على أن اسمه الأول كان (كورنيليوس).

وقال كلوفيس: «إذا كان قد حاول تلقين الحيوان البائس تصريف الأفعال الألمانية، فقد نال جزاءه!».

هلوسة ستالي فليمنغ

Staley Fleming›s Hallucination

أمبروز بيرس
Ambrose Bierce

كان رجلان يتحادثان، وأحدهما كان طبيباً، فسأله الآخر: «لقد أرسلتُ في طلبك، لكنني لا أعتقد أنك قادر على إفادتي بشيء. ربما يمكنك أن تنصحني باستشارة طبيب اختصاصي بالاضطرابات العقلية. أظن بأنني مجنون قليلاً!!».

فقال الطبيب: «أنت تبدو بحالٍ جيدة!!».

«سوف تحكم بنفسك! لدي هلوسات، فإني أستيقظ كل ليلة لأرى في غرفتي كلباً أسود ضخماً، له قائمة أمامية بيضاء، ويراقبني!!».

«تقول إنك تستيقظ! أأنت على يقينٍ بذلك؟ فالهلوسات في بعض الأحيان مجرد أحلام».

«آه! نعم، مستيقظٌ تماماً. أحياناً أبقى مستلقياً مدةً طويلةً، وأنا أرنو إلى الكلب كما يرنو إليَّ. أنا لا أطفئ النور أبداً، وعندما لا أطيق صبراً عليه أجلس في سريري، وعندها يختفي الكلب ولا أرى شيئاً!».

«ما هي سيماء ذلك الحيوان؟».

«يوحي بالشرّ. أنا أعلم - ولا ريب - أن وجه حيوانٍ وهو هادئ

مستكين يحمل التعبير نفسه، اللهم إلَّا الفن. لكن ما أراه ليس حيواناً حقيقياً. فالكلاب من فصيلته لها مظهر لطيفٌ كما تعلم، فما بال هذا الكلب؟».

«في الواقع لن يكون لتشخيصي أي فائدة، ثم أنا لن أعالج كلباً!!». وضحك الطبيب لهذه المزحة الَّتي تفوه بها، لكنه راقب من زاوية عينه مريضه بدقة، ثم قال: «إن وصفك لذلك الحيوان يا فليمنغ يتطابق وكلب المرحوم أتويل بارتون!».

فنهض فليمنغ عن كرسيه قليلاً، ثمَّ جلس ثانيةً، وتظاهر باللامبالاة. وقال: «أنا أذكر بارتون!! وأعتقد أن ما ترويه عن ظرف وفاته لا يتضمن ما يثير الشبهات».

ورنا الطبيب إلى عيني مريضه ألان وقال: «منذ ثلاث سنوات، وُجِدت جثة عدوك القديم أتويل بارتون في الغابة بالقرب من منزله ومنزلك، وقد طُعن حتى الموت. ولم يُكتشف أي دليل على الجاني، ومن ثمَّ لم يُعتقل أحد. كان للبعض منا نظريات. أنا مثلاً، لدي نظرية بهذا الخصوص، فماذا عنك؟».

«أنا؟ بارك الله روحكَ! وكيف لي أن أعلم شيئاً؟ أنت تذكر أنني سافرت إلى أوروبا بعد الحادث مباشرةً تقريباً، وفي الأسابيع القليلة على عودتي لن تتوقع مني أن أتبنى أي نظرية. وفي الواقع لم أفكر بالأمر. إنما ماذا عن كلبه؟».

«كان الكلب أول من عثر على الجثة، ومات عند قبر سيده من الجوع».

نحن لا نفهم القانون الراسخ الَّذي ينطوي تحت مسألة تطابق الصُّدف، ولو كان ستالي فليمنغ يعرف آلية ذلك القانون، فربما لما قفز واقفاً على قدميه في اللحظة الَّتي سمع فيها من النافذة المفتوحة صوت نباح كلب طويلٍ بعيد. وشرع يذرع الغرفة مرات عديدة بخطوات واسعة أمام عيون الطَّبيب الثابتة، ثم واجهه فجأةً، وقَال بصَوت أقرب إلى الصياح: «وما علاقة هذا بمشكلتي أيها الطبيب هلدرمان؟ أنت تنسى لماذا استدعيتك!».

فنهض الطبيب ووضع يده على ذراع مريضه، وقال بلطف: «اعذرني! لا يمكنني تشخيص حالتك اعتباطياً!! ربما أستطيع ذلك غداً، أرجوكَ أن تذهب إلى فراشك، وألَّا تُقفل عليكَ باب غرفتك! وسوف أُمضي الليلة هنا بصحبة كتبك، فتستدعيني إن احتجتَ إليَّ من دون أن تنهض!».

«أجل، ثمَّة جرس كهربائي!».

«جيد! إذا أزعجك أي شيء اضغط على الزر من دون أن تجلس في السرير. والآن طبتَ مساءً!».

وجلس الطبيب بارتياح على كرسي وهو يحدق إلى الجمرات المتوهجة، ويفكر طويلاً وبعمقٍ إنما من دون نتيجة تُذكر؛ إذْ كان ينهض بين الفينة والأخرى، ويفتح الباب المؤدي إلى السُّلَّم، ويصغي باهتمام، ثمَّ يُعاود الجلوس على كرسيه. ومع ذلك، وبعد مدة قصيرة، راح يغطُّ في النوم، فلمَّا استيقظ كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل. فأذكى النار الخابية، وتناول كتاباً فوق الطاولة إلى جانبه. وفتحه كيفما اتفق وبدأ يقرأ:

«لما كان الله قد قضى بأن جميع الأجساد البشرية تمتلك روحاً فهي تتخذ قوى روحية، لذلك، فإن الروح تمتلك قوى الجسد حتى عندما تخرج منه، وتحيا منفردةً، مثلما يُولد الغضب أعمال العنف الَّتي تظهرها أرواح الموتى. وهناك من يقولَ إن الإنسان ليس وحده في هذا المجال، فالحيوانات تمتلك دافعاً شريراً مماثلاً و...».

وانقطعت القراءة نتيجة ارتجاج المنزل، وكأنَّ شيئاً ثقيلاً قد سقط. رمى الطبيب الكتاب من يده، واندفع من الغرفة، وصعد السُّلَّم باتجاه غرفة نوم فليمنغ. وحاول فتح الباب، لكنه كان مقفلاً خلافاً لتعليماته، فاضطر لفتحه عنوة. وكان فليمنغ على الأرض قرب سريره في ثياب نومه، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

فرفع الطبيب رأس الرجل المحتضر عن الأرض، ورأى جرحاً في عنقه. اعتقد أول الأمر بأن الأمر انتحار، وقال: «كان عليَّ أن أفكر بذلك!!».

وعندما مات الرجل كشف الفحص الطبي عن آثار واضحة لأنياب حيوانٍ غاصت عميقاً في الوريد الوداجي. ولكن لم يكًن ثمَّة حيوانٍ!!

ذراتٌ مسكونة

HAUNTED ATOMS

فان فوغت

Van Vogt

لمَّا حصل الهجوم الأول قبل أكثر من خمسمئة عام، جمع الناس المتاع الملتهب في اثنتي عشرة غرفة منفصلة تحت الأرض، ومع أن القنبلة الَّتي سقطت اقتلعت وادياً بأكمله من الأرض، غير أنها لم تصل إلى تلك الغرف الحصينة.

اختفت المدينة بأكملها، ونسي الناس أمر السائل المشع. وكانت كلّ قطعة تغلي بتؤدة في سجنها. وكرَّت القرون، إلى أن شرع رجلٌ في البحثً في الأرضً الصلبة المقاومة، فثقب خطأً حاجزاً بالياً بين وعاءين، فانطلقت منه الطاقة الهائلة القاتلة..

وجد جون روبرتس نفسه يتعرق تعرقاً شديداً، فخرج من الحفرة، وسحب منديله، ومسح جبهته. كان رجلاً في منتصف العمر، له صدغين شائبين، وعيناه تبرقان ببريق الأمل...

قال بصوت عالٍ وهو يدلف إلى الفناء: «لا ريب في أنها أصبحت ساخنةً فجأةًً!! أشعر بالتعب الشديد!!». ونظر بقلق إلى المنزل، وكان على بُعد نحو مئة ياردة، غير أنه بدا بعيداً ويزداد بعداً. وترنح، وشعر

بالدهشة، وكاد يسقط، وغشيه القلق والاضطراب. كان قد خطا عشر خطوات لمَّا أدرك أنه لن ينجح، فشرع يبكي بكاءً حاراً مدركاً الموت القادم!!

ثمَّ إن مزارعاً في الجوار عَثَرَ على جثة الرجل ملقاةً على العشب. ساكنةً هامدةً. وفي تلك الليلة، شوهدت الأضواء المسكونة أول مرة!!

ولاحظ الطبيب المحلي حروقاً من الدرجة الثالثة على الجسد، ولكنه قال إن سبب الوفاة قصوراً في القلب، لأنه لم يستطع تفسير سبب تلك الحروق. نزل مسؤولٌ قانونيٌّ من المدن الكبرى، واستحوذ على المزرعة باسم المالك الجديد للعقار: السيدة بيتر نيكولز (اسمها الأصلي في الولادة: جاني روبرتس)، وهي ابنة أخت الرجل القتيل. وضع المسؤول لافتةً تقول: «للإيجار»، ومكث في إحدى الغرف ليلاً.

فلمَّا انتصف الليل، وتوهَّج المكان بأضواءٍ تتلألأ في غرف المزرعة، شُوهد الرجل يخرج من الباب الخلفي مرتدياً منامته، ويقفز على عجلٍ إلى سيارته الطائرة. وأقلعت الآلة وهي تهسهس.

وانتقلت عائلتان إلى المنزل في الأشهر الثلاثة التالية، وبقيتا فيه مدةً وجيزةً. فلمَّا خلت المزرعة من ساكنيها، انقطعت أرجل الدخلاء. كان اليورانيوم (٢٣٥) يغلي في الحفرة، ويحترق، ويتدفق بحثاً عن الحرية، ويطلق فيضاً من الطاقة على المنزل القريب. وتألقت بعض المواد البلاستيكية باللهب، وسخنت المعادن، وأشرقت في الظلام، وطقطقت، وأصدرت أصواتاً لم تسمعها أي سيارةٍ بشريةٍ منذ خمسمئة عام. لم تكن الأضواء «المسكونة» خطيرةً!!

فقد كانت المواد الداخلة فيها مركَّبات أمان، قاومت النشاط الإشعاعي مقاومةً تشبه مقاومة الهيليوم الخامل. وأدت اهتزازات الفقاعات تدريجياً إلى إسقاط الأوساخ السائبة والأجزاء المكسورة من المتاع الَّذي احتوى سابقاً على اليورانيوم. وبعد ستة أشهر أُسكتت الطاقة.

وفي الليلة الَّتي انتقلت فيها المالكة وزوجها إلى المنزل، كانت النيران المشعة استقرت بالفعل، وستظل خاملةً هامدةً خمسمائة عام أخرى من الإحباط الافتراضي، ما لم يزعجها أحد. ولكن، لا أحد بالطبع يعرف ذلك.

قالت جيني: «هذا سخيف!».

وتعاظم ضوء البيت في الظلمة وهما يخرجان من السيارة. وكانت كلمات جيني قد تساقطت من أذن بيتر تساقط الأوراق الذابلة من شجرةٍ آيلة إلى الفناء.. استطاع أن يرى عن يمينه في البعيد أضواء بيتٍ آخر..

كانت ليلةً لا غيم فيها، وكانت النجوم أشبه بنقاط حبرٍ على صفحة زرقاء. ولم يكن لنور القمر الباهت أي تأثير في الظلمة المنتشرة في المكان، فلا هي أزالت الظلمة ولا خفَّفتها.. وتردد هنيهةً، ثمَّ التفت إلى زوجته، وقال بنبراتٍ حازمة: «انظري الآن!! دعينا لا نغضب!! لقد اخترنا هذا المكان على أسسٍ تجاريةٍ فحسب.. أنت ورثتِ هذه المكان، ولا ريب في أننا سنكسب من تأجيره مالاً لا بأسَ به».

«لكن الطريقة الوحيدة لتأجيره أن نمكث فيه زمناً، وأن نقيم

الحفلات فيه، ونستقبل الزوار فيه في عطلة نهاية الأسبوع، فنُقع بهذا بعد مدة أولئك المحليين السُذَّج بأنه ليس مسكوناً .. ألا تذكر!؟ أننا أجَّرنا بيتنا في المدينة حتى نكسب بعض المال لنأتِ إلى هنا؟».

فصمت قليلاً، ثمَّ قال بصوت أجش: «الخطأ خطأوك!! تركت كل شيء إلى آخر لحظة. اعتزمتُ أن نصل إلى هنا عصر هذا اليوم. لا يهم! قال الوكيل أن كُلَّ شيءٍ جاهز، وأنهم وصلوا كلَّ شيءٍ نووياً. كلَّ شيءٍ. في الحقيقة، لا شيء يدعو إلى القلق. أهناك ما يدعو إلى القلق!؟».

قالت جين بصوتٍ ضعيف: «لا!».

قال بعد أمسك بذراعها: «هيا بنا!!».

وجلجل المفتاح في القفل، وفُتِح الباب، ولم يصدر منه إلَّا صوت ضعيفٌ. ومن ثمَّة ساد الصمت. صمتٌ مطبقٌ شديدٌ. صمت بيت ريفي معزول. ووجد بيتر نفسه مشدوداً لهذه الظلمة، يصغي السمع إليها، وكأن ثمَّة أصوات لا تدركها آذان البشر. فلعن وسبَّ بعد أن أدرك ما يفعله، وشرع يذرع الردهة والمصباح في يده، ثمَّ وجد المفتاح الكهربائي النووي على حين غرةٍ.

فلمَّا تدفقت هذه الأضواء تنهدت جيني وزفرت زفرةً عميقةً، وسرعان ما أضاءا البيت كلَّه.. وكان وكيل العقارات قد أحسن ما فعل؛ فالأثاث مكشوفٌ ومرتبٌ، والسجاد على الأرض، والغرف نظيفة تنبعث منها روائح طيبة. فلا بدَّ من أن عاملة التنظيف جاءت ومسحت كل الأرواح الشريرة وأزالتها، بعد أن دفع لها الوكيل راتباً مضاعفاً..

واسترخى بيتر على السرير الكبير في غرفة النوم بتكاسلٍ، وشرع يرنو إلى ورق الجدران الملون.

قال: «في أي طريق المكان القديم؟».

فأشارت إلى الجدار الجنوبي وقالت: «هناك! أريتكَ إياه عندما كنا هنا الأسبوع الماضي».

«كان ذلك نهاراً، ولدي مشكلة في معرفة الاتجاهات على أي حال». وبعد لحظة وقف، وأزاح جزءاً من الجدار الجنوبي الشفاف، وجعل ينظر إلى الظلام. أبقت انعكاسات الضوء من خلفه الليل معتماً في البداية، لكن رؤيته اتضحت تدريجياً، وأصبح في مقدوره رؤية الأشياء من بعيد.

«ماذا كانت هذه الأشياء؟ ذكِّريني!!».

«محطةً ذريةً».

فشهق وقال: «يا إلهي! هذه الترهات تتعبني جداً! يعلم الله أنني ساذج!! وأصدق تقريباً كلَّ ما يُقال! لكنني أجد هذا الكلام عن الذرة وما إليها أمراً لا يُصدق!! سمعنا منذ ثلاثمائة سنة وما نزال عن عصرٍ ذريٍّ مزدهرٍ، فلو كان مزدهراً فما الَّذي حصل له!؟».

وأسدل الستارة، ثمَّ أردف يقول وهو يستدير إلى الغرفة: «أقرُّ بأن هذه حقبة فاسدة نعيش فيها، غير أنني سئمتُ ومللتُ من هذه الخرافات!!».

وجلس على السرير وقال: «اسمعيني الآن! أرى أنك ما تزالين متوترة مضطربةً. أرجوك اجلسي على الكرسي!!»، وانتظر حتَّى تجلس ثمَّ قال: «بالله عليكِ يا جيني! اهدأي! أرأيتِ!؟ هذا أفضل!».

واستلقى على السرير وقال: «كم عمر هذا البيت؟».

«قرابة.. قرابة خمس وسبعون عاماً».

فأومأ وقال: «وتلك المحطة. المحطة الذرية. كم من المفترض أن يكون عمرها؟».

فتلعثمت قليلاً ثمَّ قالت: «يقولون. آهٍ يا بيتر!! هذا كله أمرٌ سخيفٌ! أقرُّ لكَ بذلك وأعترف!!».

فقال بنبراتٍ حاسمةٍ حازمةٍ: «كم من المفترض أن يكون عمر المحطة؟!».

فهزَّ كتفيها وهي تقول: «طيب! يقولون. ما تزال تعمل منذ خمسمائة عامٍ مضى».

«ومن هم؟!».

فأشارت بيدها إشارةً غامضةً.

قال: «ومنذ متى استمرت هذه الحقبة الذهبية – كما يسمونها – قبل ذاك؟!».

فقالت بصوتٍ واهنٍ: «ألف سنة! والآن يا بيتر. أنتَ تعلم أن ثمَّة شيء هنا بلا ريبٍ. فيٍ المتاحف كتبٌ عجز العلماء عن فهمها وتفسيرها، فلا ريب في أنها تنتمي إلى حضارةٍ عظيمةٍ على الأرض!».

فقال بنبراتٍ ازدرائيةٍ: «العلماء!!»، ثمَّ قطَّب وقال: «لكن، دعينا نستخدم أرقامكٍ لنرى إلىٍ أين تقودنا!».

فتنهدت بإذعانٍ وقالت: «قلتَ هذا يا عزيزي من قبل!».

«لا أريدكِ أن تمضي الليل سهرانةً ترتعدين. قلتِ ألف سنة، أليس كذلك؟».

«أجل».

وتجاهل نبرات صوتها الحادة وأردف يقول: «إذن مضى على تلك المنشأة الذرية خمسمائة عام أخرى متوقفةً عن العمل. بالمناسبة، ما الَّذي جعلها تتوقف عن العمَل؟».

فشعرت زوجته بالانزعاج والضيق، فقالت له: «يا بيتر! أنتَ تعرف خير المعرفة أننا نجهل تلك الحقبة من الزمن، ولا نعرف عنها إلَّا النذر القليل! سمعنا قصصاً من زوجات مسنات عن حرب قضت على البشرية جمعاء، غير أن التاريخ لم يسجل شيئاً من هذا. فتاريخنا المسجَّل يبدأ منذ قرابة ثلاثمائة عام».

فقال بنبرات مهينة ساخرة من جميع المؤرخين: «أجل!!»، ونجح في مسعاه.

ثمَّ قال أخيراً: «طيب! طيب! لنرجع إلى أرقامك! دامت تلك الحضارة الرائعة الخارقة ألف سنة، ثمَّ مضت أربعمئة وخمس وعشرون سنة نسيها الناس فيها، ومن ثمَّ بُني هذا البيت، وعاش فيه الناس أجيالاً. ومنذ ثلاث سنوات وجد عمك ميتاً بالقرب من نفق احتفره تحت تلك المنشأة، والمكان مسكونٌ منذ ذلك الحين. هذا ما حصل، أليس كذلك؟!».

فأومأت زوجته بالإيجاب.

قال بيتر بنبرات المنتصر: «الآن! سأسألك! كيف يمكن لأي شيءٍ أن يقطع خمسمائة سنة من الزمن ويقتل رجلاً؟!».

«كان جسده ممتلئاً بالحروق الَّتي عجز الأطباء عن شرحها!».

«ولكن ماذا قال الطبيب؟».

فترددت جيني قليلاً.

قال بيتر: «سكتةٌ قلبيةٌ، أليس كذلك؟».

فوقفت زوجته وقالت: «بالله عليكَ أن تتوقف! كفَّ عن هذه الأسئلة والافتراضات!! فأنتَ لا تسعدني بهذا ولا تخفِّف عني!! بل تزيد من خوفي وتوهن عزيمتي!! أعرف أن ما تقوله صحيح، ولكن...».

«ولكن ماذا؟!».

«ليت الناس لم يروا الأضواء في البيت منذ ثلاث سنوات! ويسمعوا أصواتاً! ويتعرضوا لحروقٍ في أجسادهم عجز الأطباء عن تفسيرها!!».

«هذا خيالٌ! محض خيال!!».

فقالت بوهنٍ شديد: «أجل! أجل! أعرف ذلك! ولكن دعنا نغير ثيابنا ونذهب إلى النوم!».

وشرع يخلع قميصه وهو ينخر ويقول: «أفهم ما هي الذرات. تشعل مفتاحاً فتعمل. وتطفئ المفتاح فتتوقف. هذه هي! انتهت القصة! هذا كلُّ شيء! الذرات لا تقطع خمسمئة سنة زمنية من الماضي وتجعل الأضواء مضاءة دائماً. الشيء نفسه ينطبق على النواة. تشغل محركاً وفقاً لمبادئ أساسية، ولا تقطع...».

وأنهت جيني الجملة بسرعةٍ قائلةً: «أعرف. خمسمئة سنة!».

قال بيتر: «لكن هذه الطاقة الذرية. أمرٌ يحيرني! يستخدم الناس

هذه الكلمة، فإن سألتهم عنها يفتحون أفواههم دهشين حائرين، لا يعرفون لها معنىً أو تعريفاً. بصراحةٍ! سئمتُ الأمر!!».

قالت: «وأنا كذلك! سئمتُ الأمر الآن!».

وغمغم بيتر بكلمات عن أنه تزوج امرأةً لا تسمح له بإكمال جملته، ثمَّ قال: «هل أنام معكِ!؟ أم أشغل غرفةً من غرف الضيوف!؟».

«بل معي!».

فابتسم ابتسامة عرضةً لها قائلاً: «ما الَّذي أسمعه؟ السيدة الَّتي أرادت دائماً غرفة مستقلة أريد الآن تابعة؟».

فلم تجب، وسرعان ما أطفأ الأضواء ما إِن نام إلى جانبها في السرير. وشمل الصمت المكان!!

فلمَّا أصبح الصباح، استيقظ بيتر وهو يتثاءب، وقام من سريره. أمَّا جيني فكانت ما تزال نائمة. وابتسم لها ابتسامة عريضةً لمَّا تذكر شكواها الدائمة عن غرفة النوم المنفصلة؛ لأنها لم تكن لتنام مع أي شخصٍ في الغرفة.

ونزل إلى الطابق السفلي، وأفطر إفطاراً سريعاً، ثمَّ خرج. وكانت السيارة ما تزال حيث ركنها الليلة الماضية تحت الشجرة. كانت تتمايل مع النسائم، فأجفله ذلك؛ لأنه ترك الطاقة قيد التشغيل، فمشى وأطفأها، ثمَّ جعل يرنو جنوباً إلى التلال في البعيد.

قال في نفسه: «سأذهب إلى هناك في يوم من الأيام! ونرى إن كنا نعجز عن إماطة تلك القمامة بعيداً». وعندما عاد إلى المنزل كانت

جيني تستحم. فشرح له ما عزم عليه وهما على طاولة الإفطار، فنظرت إليه بعيونها الزرق مشفقةً عليه.

قالت: «أيها الغبي المسكين! ومن الَّذي سيقوم بالعمل؟».

ولم يكن بيتر قد فكَّر في هذا، فقال بنبراتٍ حزينة: «لا يمكن أن نقنع أولئك المحليين المؤمنين بالخرافات أن يكسبوا بعض المال!!».

فقالت جيني: «ثمَّ. من أين لكَ المال؟».

«إذن سأقوم بالعمل وحدي!».

قالت: «أنتَ وعمك!».

فتململ بيتر من كلامها وقال: «يا إلهي! أنتِ ميؤوس منكِ!!»، ثمَّ ترك المسألة تمر، فقد نسي أن عمَّها توفي.

وخطرت على بال بيتر فكرة أخرى وهو في طريقه إلى المدينة: «ما أن أمتلك المال فإني سأستأجر خبيراً من الجامعة ليأتي ويفحص التلال!».

فتكدر وجه جيني الصغير وقالت: «يا عزيزي! أنتَ تزعجني! ومتى يمكننا أن نطيق أجرة خبير؟ أجبني عن هذا!!».

فهزَّ بيتر كتفيه ثمَّ قال بصوتٍ أجش: «سيدتي الشجاعة الجسورة تتكلَّم الآن، فأزلت الغمَّة عن صدري!! اسمعيني يا عزيزتي! أنا أفعل هذا من أجلك. أتفهمين؟! من أجلك! أنت من سيرى الأضواء، ويسمع الأصوات، وأنتِ من سيُخيَّل إليكِ أنَ جسدكِ سيحترق!».

فقالت جيني بنبراتٍ راضيةٍ: «تلك كانت أول ليلةٍ أخاف فيها..

غير أني غطططتُ في نوم عميق، أليس كذلك؟»، ونكزته من ذراعه واستطردت: «يا للهول! يا ألله! أهذه ميغالوبوليس!؟»[١].

فأومأ بيتر وقال: «كنتُ أجرب سرعة هذه السيارة. قطعنا مسافة خمسمئة وواحد وثمانين ميلاً في ثلاثين دقيقة، و...»، ونظر إلى لوح القياس: «وثماني دقائق. ليس سيئاً أداء هذه الخردة!».

وترك جيني وشأنها، فثمة أشياء يجب أن يفعلها قبل أن يحتل المستأجر الجديد المكان.. وطار إلى سطح البناء حيث مكتبه وحيث يعمل. فلمَّا أتى ليقلَّ زوجته كانت مثارةً مهتاجةً.

«يا عزيزي! لقد قابلتُ اليوم السيدة ليرد. زوجة الطبيب. ودعوتهما لزيارتنا هذا الأسبوع.. وسيأتيان يا عزيزي لزيارتنا!!».

قال: «وما الَّذي جعلكِ تظنين أن البرفسور ليرد سيهتم في الحفر في ساحة بيتنا؟!».

قالت: «يا عزيزي! وكيف تظنُّ أنني أقنعتُهما بالمجيء؟! أخبرتُ زوجته أن المكان مسكونٌ بالطاقة الذرية».

«وماذا قالت!؟».

«قالت إنها تظنُّ أن زوجها سيحب هذا. يبدو أن ثمَّة حديثاً عن الجدران المتوحدة للكون في السنين الأخيرة، وما عادت تُعدُّ أسطورة. أحدهم كان ينظر إلى الشمس، فخطرت على باله نظرية يمكن للطاقة أن توجد فيها ...».

١- Megalopolis: وتعني المدينة الضخمة المحتشدة.

وكان بيتر يعي أنها تعاينه بعيونها فقال بسرعةٍ: «لا تنظري إليَّ! فليس عندي أدنى فكرة عمَّا تتحدثين!!».

وأنهت جيني كلماتها قائلةً: «أن توجد في حالة صرفةٍ. أيعني هذا شيئاً؟».

فهزَّ بيتر كتفيه قائلاً: «لا أعرف من أنواع الطاقة سوى الطاقة النووية».

«وكيف تعمل؟».

«تعمل بالانتقال».

«هذا واضحٌ وضوح الشمس! ومن صنع أول مفاعل؟».

فهزَّ بيتر كتفيه وقال: «لا تفكرين إلَّا في أسئلةٍ صعبةٍ!».

قالت: «هذا نوع الأسئلة الَّتي بدؤوا يطرحونها في الجامعة. الأفضل أن تكون ذكياً، وتتظاهر بأنكَ تفكِّر بمثل هذه الأسئلة منذ حين، فربما ...».

«ربما ماذا؟».

«لا تكن مغفلاً! لعلَّ البروفيسور ليرد يتعهد بكل ما يلزم لإزالة هذه التلال على نفقة الجامعة!».

فحضنها بيتر وقال: «يا إلهي! يا عزيزتي! أنتِ عبقرية!».

وسحرت جيني شعرها وهي تقول بنبراتٍ تنم عن ثقةٍ كبيرةٍ بالنفس: «لا بأس بي!!».

قال البروفيسور ليرد: «سنحفر هنا!».

وذهبت جيني إلى السيارة، وصاحت: «بيتر!! لا بدَّ لنا من الذهاب إلى التسوق إن أردنا إطعام هؤلاء القوم الرائعين!».

وأسندت ظهرها إلى مقعدها في سيارتها الطائرة، وشرعت تصفر لتسلي نفسها، ثمَّ قالت: «هيه! الحمد لله الَّذي أبعدنا عن ذاك المكان!»، وصمتت قليلاً ثمَّ أردفت: «أتظن أنهم سيفجرون الأرض!؟».

فحدق إليها وشرع يهمهم ثمَّ قال بنبرات تَشَكٍّ: «ما الَّذي يدور في عقلك!!؟ حصلتِ على ما تريدين، أليس كذلك؟ وها هم العلماء ينظفون مَلكيتنا بالمَجان!».

فردَّت جيني عليه الجواب سريعاً قائلةً: «العلماء على العين والرأس! لكنهم لا يعرفون عن تلك المادة أكثر ممَّا أعرف..».

واسترخى بيتر بيأس على مقعده وقال: «حسنٌ. سأكون... استمعي يا عزيزتي! أتقولين إنكِ تظنين أن البروفيسور ليرد والآخرين سيذوبون هناك بسبب سائلٍ حارٍ أو بسبب مادة ما !؟ ومع ذلك تابعت في هذا الأمر!!».

فهزت زوجته كتفيها وقالت: «لا بدَّ من أن يفعلها أحدهم، وإلَّا لقالوا عنا إننا أغبياء مثل عمي. عندما تُقتل. هذا كلُّ ما في الأمر. فإن صُهروا أو ذابوا كما قلتَ فهذه تضحيةٌ أخرى على مذبح العلم!! ستبقى أنتَ مجرد أحمق، أمَّا هم فأبطال... ما الَّذي تفعله؟».

«سنرجع!».

فأمسكت جيني بمقود السيارة وأرجعته إلى مساره السابق، فشحب وجه بيتر خوفاً، وجذب يديها، فاستشعر بهما العزم والتصميم، فتردَّد قليلاً.

«إياكَ يا بيتر أن تضربني!!».

فغضب غضباً شديداً وقال: «لم أكن أريد ضربكِ!».

«بل أردتَ! فأنا أعرف تلك النظرة في عينكَ!!».

«وأي نظرة!؟».

«كفاكَ كذباً! فأنا أعرفكَ! بالله عليكَ يا بيتر! استمع إلى كلام العقل!».

«كلام العقل! كلامٌ يخرج من فم قاتلة صغيرة!!».

«لا تكن غبياً!».

«الغباء أن أجلس هنا منتظراً جماعةً من العلماء حتى يموتوا!!».

«لا تعظِّم الأمر وتكبره يا بيتر! استمع إليَّ! ألم تقل إنهم ثلة من أفضل العلماء على وجه الأرض!؟».

فتنهد بيتر قائلاً: «أظنُّ ذلك!!».

«وأن الَّذي سيحفر هناك لا بدَّ من أن يكونوا رجالاً من أمثالهم، أليس كذلك؟».

«أظنُّ ذلك!».

«وإن عجزنا عن دفع المال لهم فهذا لا يعني شيئاً، لأن الشهرة هي من نصيبهم».

فقال بتحسرٍ: «سيكون هذا لطيفاً وهم أموات!».

وضربته جيني على ذراعه وقالت: «اسمعني يا حبيبي! اسمعني! أعرف أن ضميركَ سينغِّص عليكَ حياتكَ طول عمركَ، لكن هذا أفضل من أن تنصهر أو تذوب! اسمعني! هذه خطتي: سنذهب إلى السوق لنتسوق ونتبضع، وعندما يأتي موعد الغداء تتصل بالبروفيسور ليرد، وتسأله كيف تسير الأمور...».

«لن أفعل!».

«سأفعل هذا إذن.. أنتَ ترى الآن أنني أتكلم بمنطقية، ألا ترى ذلك!؟».

«آهٍ! أفترض هذا!».

وتنهدت جيني، ثمَّ أكملت بنبرة المنتصر: «أنتَ من سيتصل، أليس كذلك؟».

فافترض بيتر أنه سيفعل.

وكان الوقت عصراً عندما اتصل. وأشاح بوجهه عن شاشة الفيديو شاحباً قائلاً: «لا جواب!».

فقالت جيني بصوتٍ متهدجٍ: «هذا مستحيل! أعطني السَّمَّاعة!».

وبقيت السمَّاعة تطن...

فقالت بصوتٍ مختنقٍ: «يا إلهي! ما الَّذي فعلته! ما الَّذي تفعله!؟».

«أستمع إلى الأخبار».

ولم يُذكر في الأخبار أي شيءٍ غير عادي، فقاد بيتر السيارة إلى قنال السرعة، فقالت جيني بارتعاب: «ماذا .. ماذا تفعل!؟».

«لا بدَّ لنا من أن نرجع ونرى ماذا حدث!!».

فلمَّا طافا حول المكان يستطلعانه في ضوء الغسق بدا لهما مهجوراً، لا حركة فيه ولا نأمة.. فبدأت جيني بالبكاء..

ثمَّ قالت وهي تنشج: «لا ريب في أنهم انصهروا جميعهم!!».

فأحاط بها بيتر بذراعه وقال: «ليس الذنب ذنبكِ! فالبروفيسور ليرد لم يحتط الحيطة اللازمة، وهو يعرف ماذا كان يفعل!».

«يا للتعاسة الَّتي اشعر بها!!».

«انظري يا عزيزتي! الأرض مستوية، ولا تلة تبدو لنا على مرمى النظر. أتعرفين ما الَّذي سأفعله؟».

«ماذا!؟».

«سأتصل بالبروفيسور ليرد في الجامعة».

وظهر وجه الأستاذ الناعم في الفيديو بعد قرابة عشر ثوان. وأوضح لهما: «بعد أن حصلنا على المادة، اعتقدتُ أن الأفضل وضعها في حاويات أمان أكبر في أسرع وقت ممكن... وأود أن أغتنم هذه الفرصة نيابة عن الجامعة لأشكركما على مساهمتكما القيمة في العلوم!».

فانحنت جيني قائلةً وقد أشرق وجهها: «بروفيسور!! هل... هل المادة مصدر للطاقة الخام؟».

وظهرت على الوجه الناعم علائم الحذر: «من الممكن ذلك! ولعلَّنا ...»، وتلعثم قليلاً ثم استطرد: «ولعلَّنا نفجرها. هذا يوم عظيمٌ لصالح العلم!!».

فقال بيتر: «وماذا بخصوص البيت؟ هل سيُسكن بعد ذلك؟».

فلفَّت البروفيسور راسه قائلاً: «نظفَّناه تنظيفاً جيداً، وأشك أن ثمَّة أشعةً شاردةً!».

وكانت جيني في تلك الأثناء تفكر بتمعنٍ. قالت: «وهل لها أي قيمة؟».

قال البروفيسور بصوتٍ مقهور: «كنتُ على وشك ذكر ذلك.. بالطبع! لا نريدكما أيها الشابان أن تتوهما أننا نريد استغلالكما، فإن وقعتما على تخلٍ عنها سنعطيكما خمسة آلاف دولار.. ولمَّا كانت الجامعة مهتمة بالأمر فالمسألة فحسب مسألة تصفيةٍ لقب».

قالت جين: «شكراً يا بروفيسور! قبلنا العرض! وداعاً!»، وقطعت الاتصال.

وضغط بيتر على يدها قائلاً: «يا عزيزتي! لا تقطعي الاتصال بوجه رجلٍ مثل البروفيسور ليرد!».

قالت جيني بضعف: «انتهينا منه! ثمَّ إنني أوشك أن أسقط!»، وأمسكت بذراعه قائلةً: «هلا هبطت يا حبيبي بسرعة!؟ يكاد الوقت ينفد! سينتقل المستأجرون الجدد إلى بيتنا غداً!».

فهبط بالسيارة محتجاً: «ماذا تفكرين!؟».

وهُرعت جيني إلى داخل البيت، ومن ثمَّ خرجت وعليها أمارت الانتصار وهي تمسك بلافتة، وأدخلتها في فتحة في الممر. «ها هي! البيت للإيجار ثانية!».

قال: «أمجنونة أنت!؟ لقد أجرناهم البيت!».

«سنرفض السماح لَهم بالدخول! فالعيش هنا مملٌّ جداً!».

الجثّة على الحاجز

The Corpse on the Grating

هيو ب. كيف
Hugh B. Cave

رأى ديل في الأعماق القاتمة لمستودعٍ قديم شيئاً جمَّد الدم في عروقه، وكتم صرخة الرعب على شفتيه الجافتينِ!! كانت جثةً!! ويبدو من ملامحها أنها ميتة منذ زمنٍ، ومع ذلك كانت حَيَّةً!

كانت العاشرة من صباح يوم الخامس من كانون الأول حين غادرتُ وإم. إس مكتب البروفيسور دايملر. ولعلَّك تعلم من هو إم. إس؛ فإن اسمه يظهر باستمرار في صفحات (نيوز إليوستريتد)، جنباً إلى جنب مع بعض المقالات التقنية حول التحليل النفسي، أو مع بعض الدراسات المكثفة عن الدماغ البشري ووظائفه. إنه رجلٌ متعصب نفسياً بشكلٍ أو بآخر، وقد أمضى قرابة سبعين عاماً في اقتلاع الجماجم البشرية بغرض التحقيق والتقصي. فيا للسعي الجميل!

استهزأتُ به منذ قرابة عشرين عاماً استهزاءً ودوداً فاتراً، فأنا رجل طبٍّ، ومهنتي لا تجانس المتطرفين.

دعوني أوضح لكم أن دور البروفيسور دايملر في أحداث ذاك المساء أقل غموضاً. كنتُ ذهبتُ إليه أنا وإم. إس بناءً على طلبه العاجل. كان بيته في شارعٍ ضيقٍ معتمٍ قبالة الساحة، وفتح ديملر

نفسه الباب لنا. كان شاباً طويلاً مهلهل البنية، يقف في وصيد بيته ساكناً سكونَ صنَم، ونصف ذراعه ممتدة.

قال بهدوء: «استدعيتكما أيها السادة، لأنكما من بين كل أبناء لندن أنتما الشخصان الوحيدان اللّذان يعرفان طبيعة تجاربي الأخيرة. وأود أن أطلعكما على النتائج!».

وقادنا إلى مكتبه، ثم ركل الباب بقدمه، وأمسك بذراعي وهو يفعل ذلك. ثمَّ جرني بهدوء إلى الطاولة الّتي كانت بقرب الجدار البعيد. وأمرني بفحصها بنبرات رجلٍ يثق بنفسه ثقةً كبيرةً.

ولم أرَ شيئاً أَوّلَ وهلة في الغرفة الكئيبة المظلمة. غير أني ميَّزتُ عند آخر الطاولة مجموعةً من أنابيب الاختبار بالسوائل. ورُبطت بعض الأنابيب ببعض بأشواك، وفي نهاية الطاولة قنينة صغيرة من المصل الناتج. يبدو أن دايملر سحب كميةً من الغاز من كل من الأنابيب الصغيرة، وقطَّرها بالحمض في القارورة الدقيقة في نهاية الطاولة. وجعلتُ أرنو إلى تلك الأدوات قبالتي، غير أنني لم أعرف سبباً لوجودها.

فالتفتُ إلى البروفيسور وأنا أحدق به دهشاً مستغرباً، فابتسم.

قال: «التجربة انتهت! ولا ريب في أنكَ ستشكك بالنتيجة يا دايل لأنكَ طبيبٌ. أمَّا أنتَ يا ...»، والتفت إلى إم. إس ثم أردف: «فإنكَ ستُدهش لأنكَ عالم. أمَّا أنا فلستُ بعالمٍ ولا طبيب، غير أني مملوء بالدهشة والاستغراب!!».

ودنا من طاولة طويلة في وسط الغرفة، ووقف عندها، ثمَّ شرع يقلِّب نظره فيَّ وفيَّ إم. إس.

ثمَّ أردف: «أبقيتُ على الطاولة هنا مدة أسبوعين، جثة رجل مات منذ أكثر من شهر. حاولتُ أيها السادة أن أعيد الحياة لذلك الجسد مستخدماً تركيبات حمضية من ابتكاري. و... لقد فشلت!».

فابتسمتُ، فلمَّا رأى الابتسامة الَّتي ارتسمت على وجهي أضاف سريعاً: «كان هذا الفشل بحد ذاته أكثر من أعظم إنجاز للعالم الاعتيادي! فكما تعلم يا دايل، فإن هذه الحرارة ستبعث في الجسد الحياة، إن لم يكن الرجل قد فارق الحياة حقاً. ففي حالات الصرع على سبيل المثال، يُعلن الضحايا أمواتاً، فيعودون إلى الحياة أحياناً وهم في القبور. أقول: «إن لم يكن الرجل ميتاً». ولكن ماذا لو كان هذا الرجل ميتاً حقاً؟ أيغير العلاج نفسه بأي شكلٍ من الأشكال؟ فمحرك سيارتك يموت[1]، فهل تدفنه؟ أنت لا تفعل ذلك؛ بل تحدد مكان الجزء المتعطل وتصححه، وتبث فيه حياةً جديدةً. وهكذا، أيها السادة، بعد معالجة قلب هذا الرجل الميت الممزق. شرعتُ في إعادته إلى الحياة!! لقد استخدمت الحرارة. ستنشأ الحرارة الهائلة أحياناً شرارة لحياةٍ جديدةٍ في جسدٍ مات منذ مدةٍ طويلةٍ. أيها السادة! في اليوم الرابعٍ من اختباراتي، وبعد التطبيقٍ المستمر للحرارة الكهربائية والحمضية، فإن المريض...».

وانحنى دايملر على الطاولة، وأمسك سيجارة، ثمَّ أشعلها، ورمى الثقاب، واستأنف حديثه.

١- مجازاً. (المترجم).

«استدار المريض بغتةً، وسحب ذراعه بضعف على عينيه. فهرعت إلى جانبه، فلمَّا وصلتُ إليه، تصلَّب الجسد مرةً أُخرى وفارقته الحياة. وظلَّ على حاله ميتاً!!».

وحدق البروفيسور إلينا بهدوء ينتظر تعليقاً. فهززتُ كتفيَّ بلا مبالاة..

قلتُ بهدوءٍ: «يا أستاذ! ألعبت يوماً بجثة ضفدع؟».

فلفَّت رأسه وهو صامت.

قلت: «ستجدها رياضة ممتعة!! خذ بطارية جافة شائعة بجهد كافٍ لإحداث صدمة قوية.. ثمَّ ضع الأسلاك الخاصة بك على أجزاء مختلفة من جسد الضفدع.. وإذا كنت محظوظاً، وضربت المجموعة الصحيحة من العضلات، فسوف تسعد برؤية جثة ضفدع نافقٍ تقفز إلى الأمام فجأة.. لن يستعيد الحياة.. أطلقتَ عضلاتهٍ الميتة بالصدمة، وجعلته ينتفض».

فلم يرد الأستاذ. كان بإمكاني أن أشعر بنظراته تجاهي، ولعلّي إن استدرت أن أجد إم. إس يرميني بنظرات كرهٍ صادقٍ. كان هؤلاء الرجال طلبةً للتنويم المغناطيسي والروحانية، ولمٍ يكن جوابي المبتذل موضع ترحيبٍ في قلوبهم.

قال إم. إس بنبراتٍ باردةٍ: «أنتَ عيَّاب يا دايل لأنكَ لا تفهم!!».

«أفهم؟ أنا طبيب، ولستُ شبحاً!!».

غير أن غم. إس التفت إلى الأستاذ بتوقٍ وقال: «أين الجسد؟».

فلفَّت دايملر رأسه؛ إذْ أنه أقرَّ ولا ريب بإخفاقه، ولم يرد أن يجرَّ

رجله الميت قبالتنا ما لم يستطع أن يبعث هذا الرجل حياً من جديدٍ، ويتمكَّن من محادثتنا .

قال ببرود : «تركتُه بعيداً!! لا شيء آخر يجب القيام به بعد أن أصرَّ طبيبنا الموقر على جعل أمراً واقعاً لا يمتُّ إلى تجربتنا بأي صلة. لعلَّك تفهم أنني لم أكن أنوي أن أقوم بدور الخالق حتَّى ولو حققتُ النجاح. اعتقدتُ أن الجثة يمكن إحياءها مرةً أخرى، مثل جزءٍ ميتٍ من آلة، شريطة أن نكون أذكياء بما يكفي لاكتشاف السر.. وأقسمٍ إنني ما أزال أومن بهذا!!».

كانت هذه هي الحال لمَّا عدتُ إم. إس على طول الشارع الضيق الَّذي فيه مسكن الأستاذ . وكان رفيقي صامتاً صمتاً غريباً، وشعرتُ بأنه ينظر إليَّ نظرات غريبة غير مريحة أكثر من مرة، لكنه لم يقل شيئاً . وبقي على حاله صامتاً لا ينبس إلىً أن حادثته عن جنون الرجل الَّذي تركناه للتو.

قال إم. إس بمرارة: «أنت مخطئ في السخرية منه يا ديل!! دايملر رجل علم وليس طفلاً يجرب لعبة، إنه رجل بالغ لديه الشجاعة أن يؤمن بقوآه. في يومٍ من الأيام....».

انتوى أن يقول إنه في يوم من الأيام سأحترم جهود البروفيسور ولا ريب. في يوم من الأيام! بل في دقائق معدودة؛ فقد جاء الحدث الأول وسلسلة الرعب التالية له خلال الدقائق الثلاث التالية؛ فقد وصلنا إلى ركنٍ معزولٍ من الساحة. شارعٌ أسود غير مأهول يمتد مثل شريط ظلامٍ مظللٍ بين جدران عاليةٍ هزيلةٍ. ولاحظتُ أن الهيكل

الحجري المجاور لنا وكأنه من الأبواب أو النوافذ، وبدا أنه مبنى واحداً ضخماً، أسود بغيضاً. لقد قلتُ الحقيقة لإم. إس.

قال ببساطة: «المستودع مكانٌ منعزلٌ مهجورٌ نسيه الخالق والخلائق.. ومن المحتمل أن نرى وميض ضوء الحارس في إحدى الشقوق العلوية».

فنظرتُ إلى الأعلى ما أن سمعتُ كلماته، وكان كلامه صحيحاً؛ فقد ثُقبَ الجزء الأعلى من الهيكل القاتم بثقوبٍ صغيرة، ولربما كان قبو الأَمان. كان القبو مظلماً معتماً، إلّا من أضواءٍ خافتة نافذة من هنا وهناك. كان المبنى العظيم كقبو دفن هائل. كان قبراً صامتاً لا حياة فيه.

ووصلنا إلى أكثر أقسام الشارع الضيق كآبةً ونفوراً، حيث ألقى مصباح ضوءاً باهتاً أصفر على الرصيف. واستطعتُ أن أستبين عند حافة دائرة الضوء، حيث الظلال أظلم وأكثر صمتاً، القوالب السود لشبكة حديديةٍ ثقيلة. أعتقد أن القضبان المعدنية صُممت لإغلاق المدخل الجانبي للمستودع الكبير من اللصوص الليليين، فثُبِّت في مكانه، وسُلسِل بسلاسل ضخمة لا يمكن نقلها ولا رفعها.

واجتاحت نظرتي العازمة الجدار أمامي. وأكبرتُ قبر الصمت الضخم هذا وأعظمته في نفسي، وفي حين كنت أسير بحذاء رفيقي الكئيب، كنت أحدق أمامي مباشرةً في ظلام الشارع. فيا ليتني كنتُ أعمى!!

كان معلقاً على الشبكة. معلقاً بأيد بيض ملتوية تمسك بقضبان الحديد الصلبة محاولةً إبعاد بعضها عن بعض. وقد دُفِع جسده

المشوه بالكامل نحو الحاجز، فكان أشبه بمجنون يسعى إلى الهرب من سجنه. كان وجهه الَّذي ما تزال صورته تطاردني كلَّما رأيتُ قضباناً حديديةً في ظلمة الممر، وجه رجل مات من الرعب المطلق. تجمدت جثته في صرخة ألم صامتة، وكانت تحدق في وجهي بخبثٍ شيطاني! شفاه متباعدة. وأسنان بيض لامعة في الضوء. وعيونٍ دامية شاخصة. كانت جثةً هامدةً!!

أعتقد أن إم. إس رآه في اللحظة نفسها الَّتي نكصتُ فيها. وشعرتُ بقبضة مفاجئة على ذراعي. وخرجت صيحة تعجب قاسية من شفتي رفيقي، وسُحبت إلى الأمام بعنف. وجدت نفسي أحدق مباشرةً في عيون ذلك الشَيء المخيف الميتةً الَّذي أمامي، ووجدتُ نفسي أقف جامداً بلا حراك أمام الجثة المعلَّقة.

فذهلتُ ودهشتُ. وخفتُ خوفاً شديداً. ثمَّ جاء صوت رفيقي الهادئ.. صوت رجلٍ ينظر إلى الموت على أنه مجرد فرصة للبحث.

«كان الرجل خائفاً حتى الموت يا ديل. كان خائفاً في غاية الخوف. لاحظ تعابير فمه، ونضاله الواضح لإبعاد بعض هذه القضبان عن بعض والهروب. شيء ما دفع الخوف إلى روحه، وقتله!!».

فلمَّا انتهى إم. إس من الحديث لم أجب. لم أحاول التحدث إلَّا بعد أن تقدم للأمام، وانحنى على الوجه المشوه للشيء الذي أمامي. وعندما فعلت ذلك، كانت أفكاري مبهمة.

فصرختُ: «بحق الله! ما الَّذي استجلب هذا الرعب لمثل هذا الرجل القوي!!؟ ما الَّذي...».

فقال إم. إس مقترحاً وعلى وجهه ابتسامة: «لربما كانت الوحدة.. فهذا الرجل هو الحارس الليلي. وحيدٌ في ظلام مطبق ساعات عديدة. ليس معه سوى ضوء باهت، لا ينفع إلَّا في زيادة الظلمة ظلمةً.. لقد سمعتُ عن مثل هذه القضايا من قبل».

وهزَّ كتفيه، وأحسستُ بالمراوغة في كلماته، فلمَّا رددتُ عليه لم يسمع جوابي؛ لأنه تقدم فجأةً حيث يستطيع أن يرنو إلى تلك العيون المرتعبة الشاخصة.

وبعض صمتٍ قال أخيراً وهو يلتفتُ إليَّ: «سألتني يا ديل عن تفسير لهذا الرعب. عندي تفسير له، وهو مكتوب بوضوح في عقل هذا الرجل. ومع ذلك، فإني أن أخبرتك فسترجع إلى شكوك، وإلى عادتك القميئة في النكران».

ونظرتُ إليه بصمت؛ فقد سمعتُ إم. إس ذات مرةٍ يقول إنه يقدر على قراءة أفكار رجلٍ ميت، بقراءة الصورة العالقة في دماغه، وكنتُ قد سخرتُ منه واستهزأتُ به. وهو يستذكر هذا الآن، ومع ذلك واجهني بعزمٍ واضح.

قال بتروٍ: «أرى شيئين يا ديل.. أحدهما غرفة ضيقة مظلمة.. غرفةٌ مليئةٌ بالصناديق والأقفاص، ذات باب مفتوح عليه الرقم: ٤١٦٧ .. ويخرج منه بخطوات وئيدة جسد رجلٍ متحلل، غير أنه حي، يمدُّ ذراعيه، وعلى وجه أماراتُ الرعب وعلائمُ الفزع.. جثة يا ديل.. رجلٌ مات منذ أيام عديدة، وهو الآن على قيد الحياة!!».

واستدار إم. إس ببطءٍ، وأشار إلى الجثة على الحاجز، وقال: «ولهذا السبب مات هذا الرجل من شدة الفزع!».

وتلاشت كلماته في الفراغ. حدقتُ به هنيهةً، ومن ثمَّ ضحكت. ضحكت مع ما يحيط بنا، ومع الساعة المتأخرة، ومع خلو الشوارع من الناس، ومع هذا الشيء بقربنا. مع كل ضحكت!!

وأشاح بوجهه وهو ينخر، وكانت أول مرةٍ في حياتي أرى إم. إس غاضباً. واستحال وجهه العجوز المُجعَّد فَجأةً وجهاً متوحشاً فيه شدة وعزيمة..

وجأر صائحاً: «أتسخر مني يا ديل!! بالله عليكَ! أتهزأ بي بعد أن أمضيتُ جلَّ حياتي في الدراسة والتمحيص!!؟ أتدعو نفسكَ رجل طب!؟ أنت لا تستحق أن تحمل هذا الاسم!! أراهنكَ يا رجل أن ضحكاتك منبعها الجبن والذعر!».

ونكصتُ مبتعداً عنه؛ فلو كنتُ قريباً منه، فلا ريب في أنه سيضربني؟ يضربني!! وأنا الَّذي كنتُ قريباً من إم. إس في السنوات العشر الماضية أكثر من أي رجلٍ آخر في لندن. فلمَّا ابتعدتُ عنه مجانباً غضبه، اقترب مني وأمسك ذراعي، فشعرتُ بقوة قبضته وغضبه العارم.

قال بمرارة: «اسمعيني يا ديل! أراهنكَ بمائة جنيه على أنكَ لن تمضي هذه اللَّيلة في المستودع الَّذي فوقك! سأراهنكَ بمائة جنيه على شجاعتكَ وجسارتكَ، وأنك ستمر بما مرَّ به هذا الرجل، فلن تضحك ثانيةً عليه وتهزأ به! وأنكَ لن تطوف في هذا الممر أو تجوس بهذا البناء الضخم خلسةً إلَّا أن الغرفة ١٤١٦٧! وستبقى في تلك الغرفة حتَّى الفجر!».

ولم يكن لديَّ خيارٌ آخر! فرنوتُ إلى الرجل الميت، وإلى وجه الرعب، واليدين الملتويتين الممسكتين بالحاجز، فمُلئتُ رعباً وهولاً! غير أني جاهدتُ لتجميع شتات نفسي والتغلب على مخاوفي؛ لأغلب صديقي في رهانه؛ فقد هزأت به وسخرت منه! أمَّا الآن، فمهما كانت التكلفة فلا بدَّ من أن أدفع ثمن هذا الاستهزاء.

قلتُ بهدوء وبنبرات جهدتُ أن أتحكم فيها قدر المستطاع: «الغرفة ٤١٦٧! حسنٌ، سأفعلها!».

وكان الليل قد قارب على الانتصاف، عندما وجدتُ نفسي وحيداً، أتسلق مجازاً ملتوياً بين الطابق الأول والثاني من هذا البناء المهجور. لم أسمع صوتاً ولا نأمةً، ما خلا صوت زفيري وشهيقي الشديدين، وصوت قرقعة الدرجات الخشبية المتهالكة، وهي تتردد في ضريح الموت هذا. لم يكن ثمَّة ضوء، ولا حتَّى ذلك الضوء الضعيف الواهن الَّذي تصادفه في مثل هذه الأماكن. ثمَّ أنني لم أجلب معي أي وسيلة من وسائل الإضاءة، ما عدا علبة ثقاب شبه فارغة احتفظتُ بها لمثل هذه الأوقات، مدفوعاً بهاجسٍ داخليٍّ فظيع. وكان الدرج فظيعاً أسود، فصعدتُها على مهل محاذراً، متلمساً طريقيَ على الجدار الخشن بكلتا يدي.

كنتُ تركتُ إم. إس منذ بضع دقائق. وكان ساعدني على التسلق على هذا الحاجز المعدني، ومن ثمَّة تركني من دون أن ينبس بكلمة. فتابعت تسلقي في الظلمة الدامسة، متعثراً إلى أن وجدتُ باباً مفتوحاً.

وتزايد صريف الباب وتعاظم، وكأنه صريفٌ سرمديٌّ. وبحثتُ عن تلك الغرفة الَّتي هي غايتي. الغرفة (٤١٦٧)!!

وكان الباب مدخلاً إلى الطابق الثاني، فأخرجتُ علبة الثقاب، وأشعلتُ ثقاباً، وبضوئه الواهن وجدتُ إعلاناً مسمراً بالجدار. وكانت اللافتة صفراء قديمة، وعليها كتابات وجدتُ صعوبةً في قراءتها. ولكنني أتذكر أن ما كُتِب عليها كان شيئاً كالآتي:

قواعد المستودع:

الضوء ممنوعٌ في الغرف والممر، كما هي النار ممنوعة.

لا يُسمح لأي شخص بالدخول إلى الغرف أو المشي في الممرات ما لم يرافقه موظف.

يجب أن يكون الحارس في المبنى من الساعة السابعة مساءً إلى السادسة صباحاً. وعليه أن يجول في الممرات كلَّ ساعةٍ في تلك المدة.

تقع الغرف حسب أرقامها: الرقم الأول في رقم الغرفة يشير إلى موقعها في الأرضية.

ولم أستطع إكمال القراءة؛ لأن الثقاب بين يدي استحال فحماً ووقع. ثمَّ تابعت مسيري في الظلمة وبقايا الثقاب ما يزال في يدي.

ووجدتُ الغرفة ٤١٦٧ في الطابق الرابع، وهو أعلى طابق في هذا البناء. وإني أُقرُّ بأنني لم أجد في نفسي ذرة شجاعة لمَّا وجدتُ الغرفة.. ثلاثة طوابق أسفل مني تحول بيني وبين الهروب سالماً.. لا مهرب الآن! لا يمكن لأي إنسان يعيش في مخاض الخوف أن يأمل في اكتشاف ذلك المنفذ المهول، أو أن يأمل في شق طريقه عبر الكآبة الجهنمية أسفل منحدر ثلاثي من السلالم السود. ومع أنه نجح في

الوصول إلى الممرات السفلية، إلَّا أنه كان لا يزال هناك زقاق مسدود، مغلق في نهايته الخارجية بشبكة عالية من القضبان الحديدية...

مهرب! جعلني التفكير فيه أتوقف بغتةً ساكناً، وكان جسدي بأكمله يرتعش!!

لكن إم. إس يقف هناك ينتظر في ظلمة الليل، وعلى وجهه نظرة الظفر تلك. نظرةً وسمتني بالجُبن وبأني رعديد. لم أستطع العودة ومواجهته، مع أن كل رعب العالم وأهواله يقطن في هذا المكان القميء الَّذي يلفه الغموض. لا ريب في أن هذا المكان مفزع!! وإلَّا فما خطب تلك الجثة على الحاجز في الأسفل!؟ غير أنني مررتُ بلحظات رعب من قبل؛ فقد رأيتُ مرةً رجلاً على طاولة العمليات يختلج اختلاجاً شديداً ويصرخ، ومن المفترض أنه ميت. رأيتُ فتاةً منذ وقت قصير تستيقظ في منتصف العملية، ومبضع الجراح يقطع في جسدها. ومن غير ريبٍ أنني لن أرجع إلى ذاك الرجل المستهزئ بعد أن مررتُ بما مررتُ به من أهوال!!

كانت تلك هي الأفكار الَّتي أثقلت تفكيري وأنا أمشي بحذر كبير في الممر، متحسساً طريقي إلى تلك الغرفة المشؤومة. كان المكان أشبه بمتاهة هائلة، فيها ممرات سود صامتة تفضي إلى غرفة مركزية سوداء خاليةً.. وتابعتُ المسيرَ أجرجر نفسي، أصارع ذاك الخوف الَّذي شلَّ جسدي كلَّما تابعت المسير مبتعداً عن المهرب شيئاً فشيئاً. ثمَّ إني نفضتُ من ذهني كلَّ فكرة تدعوني إلى الهروب بعد أن اسلمتُ نفسي إلى الظلمة المطبقة، واندفعتُ لا مبالياً متظاهراً بالشجاعة، وضحكتُ ضحكة عاليةً..

ووصلتُ أخيراً إلى غرفة الرعب. تلك الغرفة المجهولة في أعماق هذا المستودع الموحش.. وكان الرقم (٤١٦٧) مكتوباً بخطٍّ رديء بالطبشور الأسود على الباب. أدعو الله ألَّا يريني هذا الرقم ثانيةً!! ودفعتُ الباب النصف مفتوح ودخلتُ.

كانت غرفة صغيرةً، كما وصفها لي إم. إس، أو كما وصفتها تلك الجثة الهامدة لإم. إس. وأباب ضوء ثقابي الواهن أكواماً من الصناديق والعلب على الجدار البعيد ويغطيها الغبار. كما أظهر الضوء ممراً أسود يتلو المدخل، وطاولة صغيرة قبالتي..

وأشد ما لفت انتباهي الطاولة والكرسي الَّذي بقربها، وجعلني مستغرباً مدهوشاً.. كانت الطاولة قد دُفعت بعيداً عن مكانها، وكأن شخصاً مذعوراً مسعوراً استند عليها فلواها لوياً.. وأمكنني معرفة مكانها السابق من الآثار على الأرض المغبرة عند قدميَّ، أمَّا الآن فهي تقارب وسط الغرفة.. وسَرَتْ في جسدي رعشة عظيمة عندما رأيتها.. فلا ريب في أن شخصاً حياً جلس على الكرسي قبالتي، يرنو إلى الباب، هو من دفع الطاولة بعيداً عنه فلواها، وهو في حالة من الذعر والسعر محاولاً الهروب من الغرفة!!

وانطفأ ضوء ثقابي، وجعلني في ظلمة دامسة، فأشعلتُ ثقاباً آخر وتقدمتُ إلى الطاولة. فوجدتُ هناك على الأرض ما جلب المزيد من الرعب إلى نفسي؛ أحدهما مصباح ثقيل للحارس، يبدو أنه أوقعه هناك. أوقعه وهو يهرب!! ولكن، ما الشيء الَّذي أرعب هذا المسكين

فجعله يتخلَّى عن وسيلة هربه الوحيدة في هذه الممرات المظلمة التيهاء؟ أمَّا الشيء الآخر الَّذي وجدتُه فنسخةٌ رثَّةٌ من كتاب مجلَّدٍ مرميٍّ تحت الكرسي ومفتوح.

وأمسكتُ بالمصباح، فوجدتُه سليماً ولله الحمد !! فأشعلته، وأدرتُه في أرجاء الغرفة، فبدت لي أكثر غرابةً: جدران سود، وأكداس الصناديق الخشبية ترمي بظلالها المشوَّهة على الجدران، فبدت أشبه برجالٍ جاثمين يتقدمون نحوي. وكان ثمَّة بابٌ مفتوحٌ إلى ممرٍ مظلم كئيبٍ لا يُعرف غوره. فلو أن ثمَّة شبح يقف هناك، لما ظهر ليٍ واضحًا !!

واستجمعتُ شجاعتي لأعبر الغرفة وأغلق بابها. ولم يكن ثمَّة طريقة لقفله. ولو كنتُ قادراً على قفله، لفعلتُ من فوري؛ غير أن الغرفة بدت وكأنها مهملة، تمتلئ بسقط المتاع، ولربما كان هذا السبب هو الَّذي جعل الحارس يجعلها ملاذاً له في أثناء راحته بين جولاته..

ولكني ما كنتُ على استعداد لتجاوز حدودي وقدراتي، فرجعتُ إلى الكرسي بصمت، وانحنيتُ ملتقطاً الكتاب من الأرض. ووضعتُ المصباح بحذرٍ على الطاولة حيث سلَّطت الضوء على صفحة الكتاب المفتوحة. ثمَّ فتحت الغلاف، وجعلت أرنو إلى ما كان يرنو إليه الرجل من قبلي ولا ريب.

وقبل أن أقرأ سطرين، باغتتني الحقيقة المرعبة الَّتي أودت بحياة الرجل المسكين. فحدجتُ إلى الكتاب الصغير وضحكت. وضحكتُ من كلِّ قلبي، حتَّى إن صدى ضحكاتي تردَّد في أركان هذا المستودع الموحش.

كان كتاباً مرعباً، فيه قصص خيالية. مجموعة من قصصٍ غريبة، مرعبة، خارقة للطبيعة، فيها رسومات غريبة لجنائز في الأبيض والأسود. أمَّا السطر الَّذي وقع ناظري عليه، ولربما كان السطر الَّذي أمات ذاك البائس المسكين، والَّذي ذكره إم. إس بحرفه: «ويخرج منه بخطواتٍ وئيدةٍ جسد رجلٍ متحللٍ، غير أنه حي، يمدُّ ذراعيه، وعلى وجه أماراتِ الرعب وعلائم الفزع..»، هو نفسه في الكتاب. الوصف نفسه أمام ناظري. فهل يا ترى الرجل الميت تحت قد جُنَّ خوفاً بعد أن قرأ هذا السطر المفزع؟! ولربما الصورة المحفورة في عقله الميت هي صورة جثةٍ واقفةٍ في عتبة الغرفة ٤١٦٧ !!

فنظرتُ إلى الباب وضحكت. لا ريب في ذلك! لا ريب! كان ذاك الوصف المريع في ألفاظ إم. إس الَّتي جعلتني خائفاً أرتجف، وليس السبب الظلام والصمت المحيطان بي. والآن، وبعد أن نظرتُ إلى الغرفة، والباب، والظلال، لم أستطع منع ابتسامتي.

غير أن التقطيب والخوف ينتظرانني على مقربة؛ فقد أطبق عليَّ صمتٌ شديدٌ مدة ستّ ساعات قبل أن أسمع صوت بشر. ست ساعات من الصمت والظلمة. فكرهت نفسي حينذاك كرهاً شديداً. وشكرتُ الله أن الرجل الَّذي كان قبلي قد ترك لس هذا الكتاب حتَّى أتسلى فيه وأروِّح عن نفسي.

وقلبتُ صفحات الكتاب إلى أول صفحة، وكانت بداية القصة جميلةً، تتحدث بشيءٍ من التفصيل عن رجلٍ يدعى (جاك فيلتون)، وهو مغامرٌ إنكليزي وجد نفسه على حين غرةٍ سجين جماعة من الرهبان يتشحون

بالسواد، في زنزانةٍ منعزلةٍ في إلٍ تورو. وكانت الزنزانة وفقاً للصفحات في الكتاب في حفرةٍ فارغة مسكونة تحت بناء حجري. يا لها بداية جميلة!! وكانت الحراسة على ذاك السجين مشددة موصدة بحلقةٍ معدنيةٍ كبيرةٍ مثبتةٍ على الجدار البعيد مقابل المدخل.

وقرأتُ الوصف مرتين، ولم أستطع منع نفسي في النهاية من أن أنظر حولي. وما عدا موقع الزنزانة فلعلّي موجود في مكانٍ يشبه ذاك المكان. الظلمة نفسها، والصمت نفسه، والوحدة نفسها. تشابهٌ غريبٌ!!

ومن ثمَّ: «استلقى فيلتون بلا حراك لا ينوي المقاومة. واستحالت ظلمة السماء وسكونها أمراً لا يُطاق. كان أمراً مرعباً. فليس ثمَّة صوت، ما عدا أصوات خربشة جرذان غير منظورة...».

وأوقعتُ الكتاب مرتعباً!! جاءني من أقصى الغرفة صوت خربشة. خربشة قوارض مختبئة بين أكداس الصناديق قبالتي.

أكان ذلك خيالاً؟ لستُ على يقين!! أكاد أقسم في هذه اللحظة أن الصوت كان محدداً، وأني سمعته بوضوحٍ شديد. أمَّا الآن، وأنا أقصُّ على مسامعكم القصة مرةً أخرى، فلستُ على يقينٍ.

غير أني على يقينٍ من الآتي: أنه لم يكن ثمَّة ابتسامة على فمي وأنا أرفع الصندوق بأصابعي المرتعشة مرةً أخرى وتابعت القراءة:

«واستحال الصوت صمتاً. واستلقى السجين لا يؤتي حراكاً، وهو يرنو إلى باب زنزانته المفتوح. وكانت الفتحة سوداء، مهجورة، وكأنها فم نفقٍ طويلٍ يفضي إلى الجحيم. ومن ثمَّة، أتاه صوت وقع أقدامٍ مبطنةٍ من تلك الظلمة الَّتي وراء الفتحة لا يكاد يسمعها ...».

لا ريب في هذا هذه المرة!! ووقع الكتاب من يدي، محدثاً جلبةً. وسمعتُ ذاك الصوت المخيف عبر تلك الجلبة. صوت وقع أقدام كائن حي!! فجلستُ ساكناً، أرنو إلى باب الغرفة ٤١٦٧ شاحب الوجه. وأتاني الصوت كرةً ثانيةً وأنا أرنو، وثالثة.. كانت أصوات جرجرة أقدام، تقترب مني على طول الممر المظلم.

فوقفتُ على قدمي أتأرجح وأتمايل.. واستجمعتُ كل ذرة شجاعة بقيت في روحي وأنا واقفٌ هناك، ممسكاً بالطاولة بذراعٍ، وأنا أنتظر...

وتقدمتُ بجهد، ومددتُ يدي لأمسك بمقبض الباب. ثمَّ خانتني شجاعتي. فتراجعتُ على أعقابي خائفاً، وعدتُ على مكاني، وتهاويتُ على الكرسي، وما تزال نظرة الرعب مثبتةً على وجهي.

وانتظرت. انتظرتُ ما يزيد على نصف ساعةٍ بلا حراك. لم يصدر ثمَّة صوت من ذاك الممر خلف ذاك الحاجز. لم أتخيل أي كائن حي. ثمَّ أسندتُ ظهري بغتةً على الجدار وأنا أقهقه، وأزلت العرق المتجمع على جبيني وعيوني.

ومضت خمس دقائق أخرى قبل أن ألتقطَ الكتاب ثانيةً. أتدعونني أحمقَ لأكمل القراءة فيه؟ أحمق؟ أخبركم أن قصة رعب أفضل بكثيرٍ من غرفةٍ صامتةٍ موحشة كئيبة، تتراقص فيها الظلال تراقص الشياطينٍ والعفاريت.. بل هي أفضلٍ من الصمت!! حتَّى إِن صفحة مطبوعةً أفضل من واقع كئيبٍ!!

واستأنفتُ القراءة. كانت القصة خليطاً من تشويقٍ وجنون؛ فقد قرأتُ في الصفحتين التاليتين وصفاً ماهراً عن حالة السجين النفسية وارتكاساته. فيا للغرابة! لقد توافقت وارتكاساتي!!

«وسقط رأس فيلتون على صدره. ولم يحرك ساكناً مدةً بدت لا نهاية لها، ولم يجرؤ على رفع رأسه. ثمَّ ارتفع رأس الشاب بعد ما يزيد على ساعة من العذاب والألم. ارتفع. واهتز بعنفٍ شديد. وصدرت من شفتيه الجافتين صرخةً مهولةً وهو يرنو. يرنُ شاخصاً شخوص الأموات. يرنو إلى المدخل المظلم لزنزانته. وقف هناك في الوصيد من دون حراك شخص الموت المكفَّن. عيون فارغة، تتطاير منها جمرات الحقد الفظيع. وامتدت إليه ذراعان عظيمتان، نحيلتان مهترئتان. يكسوهما لحم فاسد ...».

وأمسكتُ عن القراءة. وسمعتُ صوت ذاك الباب يُفتح، وأنا أجاهد للوقوف على قدمي، ممسكاً الكتاب فصرختُ. وصرخت صراخ المرتعب الخائف لما رأيت هناك. أهو الموت!؟ رحماك يا رب!! لا أعرف ما هو!! كانت جثة رجل ميت تقف قبالتي، منتصبة وكأنها أُخرجت من القبر لتوها. ووجهٌ أُكل نصفه، ينظر بعيون خبيثة. وفم ملتوٍ، يحوق به ما يشبه الشفاه، تُظهر تحتها صفاً من الأسنان المكسورة. وشعرٌ أشعث يتلوى، كأنه أفاعٍ مرعبةٍ. ومدَّ إليَّ يديه الشاحبتين المفتوحتين، كأنهما كلاَّبات من جهنم.

كان حياً!! حياً!! وتقدم نحوي وأنا ما أزال مسمراً في مكاني مُتَّكئاً على الجدار. فسرت في جسدي رعدة، وأذوى صوت جرجرة أقدامها

روحي. ثمَّ تعثَّر الشيء ووقع على ركبتيه، ورفع يديه الشاحبتين إلى السماء. ورأيتُ نظرة الغضب فيه تستحيل نظرة عذابٍ وألمٍ. ومن ثمَّ وقع ذاك الشي بين يدي. ميتاً.

وصرختُ صرخةً هائلة مستطيلةً وهُرعت إلى الباب.. وخرجتُ من تلك الغرفة المرعبة متعثراً إلى الممر. ولم يكن عندي ضوء؛ فقد تركته خلفي. على الطاولة، ليرمي على سقف الغرفة ضوأه الأبيض اللامع، فوق تلك الجثة الحية الَّتي قادتني إلى الجنون.

وجعلت أنزل الدركات والرعب يزملني، وأتذكر أنني تعثرتُ، وأنني اندفعتُ في الظلمة اندفاع المجنون. لم أكن أبالي بالحذر، ولم تراودني أفكار سوى فكرة الهروب.

ثم وصلتُ إلى الطابق السفلي، وإلى الزقاق المظلم. ووصلتُ إلى الشبكة، ورميتُ نفسي عليها ضاغطاً وجهي على أسلاكها في محاولة عابثة للهروب. وكنتُ مثل ذاك الرجل الميت الَّذي أهلكه الخوف. الَّذي قابلتُ من قبل.

وشعرتُ بأيدٍ قويةٍ ترفعني. وبدفعات من نسائم باردة، ثمَّ شعرتُ برشرشة المطرٍ المنهمر.

وفي عصر اليوم التالي، أي في السادس من كانون الأول، جلس إم. إس إلى طاولة مكتبي، وبادرته متردداً وأخبرته بما حصل معي في الليلة السابقة.

فقال بهدوء: «تستحث هذا يا ديل!! أنت رجل طب، ولا شيء آخر، ومع ذلك هزأتَ بمعتقدات عالم عظيمٍ مثل دايملر. فيا ترى، أما زلت تسخر من معتقدات البروفيسور!؟».

فابتسمتُ قائلاً بصوتٍ متهدجٍ: «تلك المعتقدات الَّتي تجلب الأموات إلى الحياة؟».

فقال إم. إس عن عمد وهو يرتفق على الطاولة ويحدق بي: «سأخبركَ بأمرٍ يا ديل! لمْ يرتكب البروفيسور إلَّا خطأً واحداً في تجربته العظيمةٍ؛ أنه استعجل ولم ينتظر طويلاً حتَّى يعمل حمضه الغريب. لقد أقرَّ بفشله سريعاً، وتخلص من الجثة...»، ثمَّ صمت.

وأردف يقول بهدوء: «عندما تخلص البروفيسور من مريضه، وضعه في الغرفة ٤١٧٠ٍ في المستودع الكبير. ولو أنكَ تعرف ذاك المكان لعرفت أن الغرفة ٤١٧٠ تقع في الممر مباشرةً من الغرفة ٤١٦٧».

شبح الطبيب هاريس

The Ghost of Dr. Harris

ناثانيل هاوثورن
Nathaniel Hawthorne

أخشى أن هذه القصة الَّتي سأرويها لكم الآن عن الأشباح قد فَقَدَت شيئاً من رونقها بعد أن سطرتُها على الورق. فمهما كان تأثيرها فيك، ومهما كان سحرها في ذاكرتك، فلعل ذلك سببه الظروف الَّتي حدثت فيها.

أذكر أننا كنا جالسين في عشية يوم من الأيام في مكتب، ألقت فيه الثريا بظلالٍ غريبة على الأرض، ونشَّرت نار الموقد أضواءً براقةً متراقصةً على جدران المكتب. ولربما تناغمت نفوس القوم وأرواحهم آنذاك مع الحكايات الخرافية، ولا سيَّما بعد أن وصفت السيدة سميثهيل هول للتو آثار الأقدام اللعينة تلك، الَّتي ظهرت على عتبة باب قصرها القديم، وخاصةً عندما يقصُّ ضيفك الأمريكي المتحمس لشرف بلاده على مسامعنا قصةً حدثت له منذ زمنٍ طويلٍ، وهو يرغب أعظم الرغبة في أن يثبت أن لرفيقه المتوفى الميزة الشبحية نفسها مثل جميع الأموات. ولربما اندفع هذا الضيف بالكلام فجعل يتكلَّم من دون حسبان، لا يدفعه سوى الرغبة في التأثير في النفوس؛ فيرمي بشذرات من خياله هنا وهناك، ولعله لا يأبه بها في ظروف واقعية أخرى..

أقمتُ منذ سنين عديدة في بوسطن في الولايات المتحدة، ولا ريب أنها تزيد على خمسة عشر عاماً أو ربما أكثر؛ لأنني كنتُ حينئذٍ عزباً. وكان في المدينة مكتبة عامة كبيرة قديمة، أو لنقل إنها أقربٍ إلى مجمع أدبي وعلمي، فيها غرفة للقراءة تضم عدداً كبيراً من المجلات والصحف والدوريات الأمريكية والأجنبية. وهي الآن صرح عظيمٌ شيده أصحابها، أمَّا حينذاك فكانت مرفقاً من مرافق قصرٍ كبيرٍ قديم، كان ملكاً لعلم من أعلام مدينة بوسطون. وكانت غرفة القراءة قاعةً مهيبةً مؤثثة تأثيثاً فخماً، وكان يتردد عليها تجارٌ مسنون، ورجال أعمال متقاعدون، وكهنة، ومحامون، ورجال أدب كالَّذين نصادفهم بيننا. وكانوا في جملتهم من كبار السن المترفين، الَّذين ركنوا إلى الراحة والوفرة، وكانوا يتبادلون بينهم الغمزات والإشارات بالمظلات والعصي ساعات من الزمن. وما كانوا يهتمون بقراءة كلمة أو كلمتين بما يخصُّ سياسة البلد وشؤونها، ولا يهتمون إلَّا بالجلوس والتحليق بأفكارهم في مملكة الأحلام، ويقعدون من دون الإتيان بحركةٍ إلَّا بالإيماء بصحائفهم الَّتي يمسكونها بعنادٍ.

وكان من بين أولئك المترفين الطبيب هاريس المحترم، وكنتُ أراه من حينٍ لآخر جالساً هناك، وهو كاهن موحد حسن السمعة، رفيع المقام. وكانت السن قد تقدمت به، فدلف على الثمانين، ولربما زاد، وكان يقيم كما أظن في دروشستر، وهي قرية تجاور بوسطون. لم أتعرف إلى هذا الكاهن الطيب عن قرب، غير أني كنتُ أسمع عنه طول حياتي أنه رجلٌ رائع، محمود السيرة. فلمَّا أشار إليَّ أول مرة نظرتُ إليه بنظرات ملؤها الاهتمام، وظللتُ أرقبه باهتمامٍ بالغٍ كلَّما

رايته في المكتبة أو في أي مكانٍ آخر. هو رجلٌ ضئيل الجسم، مهلهل الأعضاء، واهن الخطوات، غير أنَه رجلٌ نبيلٌ محترم، أشيب، محدودب الظهر قليلاً، لكن مشيته جميلة خفيفة. وأذكر أنني أول ما لاحظته في الشارع، وكان يمشي بخطوات ثقيلة متكئاً على عصا. فلمَّا حيَّاه الرجل الَّذي معي دار إلينا بأجمعه، وردَّ التحية بأحسن منها.

فلمَّا جاوزناه قلتُ: «من هذا؟».

قال رفيقي: «الطبيب هاريس المحترم من دروشستر».

ومنذ ذلك الحين رأيته كثيراً، ولم أنسَ موقفه وسلوكه. وكان مكانه المفضل الَّذي يتردد عليه دائماً هو المكتبة، فكنتُ أراه هناك يومياً، وفي يده صحيفة بوسطون بوست، وهي الصحيفة الرسمية للحزب الديمقراطي في الولايات الجنوبية. ولمَّا كان الطبيب هاريس ديموقراطياً بارزاً في حياته النشطة، فليس من الغريب أن تراه جالساً يقرأ تلك الصحيفة يوماً بعد يوم، فكنتُ كلَّما دخلتُ المكتبة نظرتُ إليه، وشعرتُ بغرابة فيه، أو هكذاً بدا لي في الأقل. فعلق هذا الطبيب العجوز الطيب في مخيلتي وفي المكان الَّذي يتردد عليه. واتفق في عصر ذات يوم أن رأيتُ ذاك الطبيب هاريس، فأشار إليَّ كعادته بالصحيفة، ولا أذكر على الإطلاق أنني رأيتُ شيئاً مختلفاً في ملامحه عمَّا سبق أن رأيته فيه.

لكن صديقاً لي قال لي في تلك الليلة: أسمعت أن الطبيب العجوز هاريس قد مات؟

فقلت بسرعة: لا! وهذا لا يُعقل!! لأنني رأيته في المكتبة اليوم!!

فقال صديقٌ لي: «لا ريب في أنك مخطئ! ولا ريب في أنه مات!».

ثمَّ أخبرني بأن الأمر واقع لا محالة، وأكَّد الأمر بظروف لم أستطع أن أرتاب فيها. فبدا عليَّ العجب والدهشة. فهل يا ترى أخطأت عيني الشخص؟ أمْ أنني دخلتُ المكان الخطأ؟

وفي اليوم التالي، كنتُ أفكر في نفسي وأنا أصعد درجات المكتبة: «لن أرى إذن الطبيب هاريس العجوز بعد اليوم؟»، فلمَّا فتحتُ الباب، ألقيتُ نظرة على الكرسي حيث كان الطبيب يجلس عادةً، فذهلت عندما رأيت الطبيب العجوز الراحل، بشعره الأشيب، وظهره الأحدب، يجلس وهو يقرأ صحيفةً!! ولا ريب أن خبر موته قد نُشر في تلك الصحيفة هذا الصباح!!

لم أكن قلقاً في حياتي كقلقي الآن، حتَّى إِنه لم أصادف مشاعر قطٌّ تشابه هذه المشاعر الَّتي أمر بها. فلو أنَ من عادة الأشباح أن تأتي إلينا وتسير بيننا، لاختلطت بنا وخالطت شؤوننا، ولاعتدنا وجودها، فلم نفزع لرؤيتها. ولكن، هذا ما حصل!! وجلست أقلّب صفحات صحيفتي كما المعتاد، وأتصفح الدوريات، وأقضي في ذلك وقتاً أطول ممَّا كنتُ أقضيه من قبل. واسترقت النظر إلى الطبيب العجوز مرةً أو مرتين بالطبع، ذاك الطبيب الَّذي وجب أن يكون في تابوته الآن، متشحاً بثياب الأموات، غير أنه شعر باهتمام كبيرٍ بصحيفة البوسطون بوست، فعاد من العالم الآخر ليقرأها في الصباح. لعلَّ الواحد منا يفترض أنه سيهتم بالعالم الجديد الَّذي سيواجهه لا محالة، أكثر من اهتمامه بالسياسة الَّتي خلَّفها وراءه!

لم يلحظني الشبح، ولم يتصرف بغرابة تناقض ما تصرفه في الأيام الخالية.

لم يلحظه أحد كما يبدو غيري أنا. ثمَّ قام العجوز النبيل من مجلسه، ودار حول النار بالقرب من كرسيه، حيث يجلس أصدقاء عمره ومعارفه، والَّذين لربما يفكرون في مماته، وسيجافونه بعد يوم أو يومين ويغيبوا عن جنازته. ولقد نسيت كيف غادر شبح الطبيبُ هاريس المكتبة في هذه المناسبة، أمْ أنني غادرتُ المكتبة أولاً، الله أعلم!! إن الاتزان الَّذي أبديته لهذا الشبح وعدم الاهتمام به، والنظرة اللامبالية الَّتي نظرتُ إليه فيها، هو ما يدهشني الآن أكثر من أي شيءٍ آخر في المسالة برمتها.

واعتدتُ رؤية شبح الطبيب هاريس منذ ذلك الوقت، وبعد ذلك بأسابيع عديدة، بل لنقل شهوراً عديدة، كما اعتدتُ رؤيته شخصياً قبل مماته. وأصبح الأمر اعتيادياً؛ حتَّى أنني عددت الميت المبجل في نهاية المطاف كالأحياء العجائز المتحلقين حول النار، والَّذين طاف به الكرى فوق صحائفهم..

لم يكن إلَّا شبحاً. طبقة رقيقة من الهواء لا غير، لا يلمسه أحد، ولا يأبه به أحد، ولا يتطلب أن يلتفت إليه أحد من الأحياء. لا أذكر أنني ارتعشتُ منه، أو نفرت، أو خامرتني عاطفة من أي نوع، كالَّتي تخامرني إن نظرتُ إلى أي شخصٍ لائقٍ مبجلٍ من عالم الأحياء. ولعلَّ أمر غريب، لكنها الحقيقة!!يبدو غريبا مستهجناً لي الآن أنني لم أستخدم الوسائل التي يمكنني بسهولة بها التيقن إن كان في الشبح

مادة صلبة، أم أنه مجرد غازات وأبخرة. ولربما مررتُ به إن فعلت، أو زاحمت كرسيه، أو دست بالخطأ على أصابع قدميه البالية المسكينة. ربما كنتُ انتزعت من يده صحيفة بوسطن بوست، ما لم يكن شبحاً حقاً. ربما اختبرته بمئة طريقة، لكنني لم أفعل شيئاً من هذا القبيل.

ربما كرهت تدمير الوهم، وإخراج نفسي من قصة شبح جيدة جداً، والتي ربما فسَّرها الناس تفسيراً شائعاً جداً. لربما كنتُ خائفاً خوفاً سرياً من ظاهرةٍ قديمةٍ، فظللت ضمن حدودي، واعتقدتُ خطأً أنه لا مبالاة.

فليكن الأمر كما أردتم، وها هي الحقيقة. رأيت الشبح، يوماً بعد يوم مدةً طويلةً، ولم أبذل أي جهد للتأكد إن كان شبحاً أم لا. لم أره قطُّ على حد علمي يأتي إلى غرفة القراءة أو يغادر منها. جلس هناك الطبيب هاريس على كرسيه المعتاد، ولا يمكنني أن أقول شيئا آخر عنه.

وبعد ردح من الزمن، ولا أعرف كم من الوقت كان، بدأت ألاحظ – أو أتخيل – احتراماً غريباً لي من جانب الرجل العجوز. فكنت أجده أحياناً يحدق في وجهي، وكان ثمَّة نوعٌ من الترقُّب في وجهه، إن لم أخطئ. وأعتقد أن رفع نظارته لتلتقي عيناه الباهتتان بعيني. فلو كان حياً، وجب أن أشعر بالإطراء؛ لأن الدكتور هاريس الطيب كان مهتماً بي ويرغب في التعرف إليَّ شخصياً. أمَّا أنه شبح، وتنطبق عليه قوانين الأشباح، فكان من الطبيعي أن نستنتج أنه ينتظر أن يتحدَّث إليه أحدهم، قبل يوصل الرسالة الَّتي يرغب في نقلها. غير أن الشبح

أظهر الحكم السيئ الشائع بين الأخوة الروحية، سواء فيما يتعلق بمكان المقابلة، أو الشخص الَّذي اختاره متلقياً لرسائله واتصالاته. تبادل الأحاديث ممنوع منعاً باتاً في غرفة القراءة في المكتبة العامة، ولم يكن بإمكاني محادثة الشبح من دون لفت انتباه السادة العجائز النائمين من حولي، فيعبسون ويقطبون.

وكنتُ في ذلك الوقت خجولاً مثل أي شبح، واتبعتُ قاعدة الأشباح وعزمتُ على ألَّا أبادره الكلام. ويا لسخف ما اصطنعتُ وتظاهرتُ! وجب عليَّ أن أخاطب كرسياً فارغاً في نظر الجميع! ثمَّ إِني لم أتعرف الطبيب هاريس عن قربٍ حياً أو ميتاً، ولستُ على علم بأن التشاريع الاجتماعية يجب أن تلغى بسبب الحقيقة العرضية المتمثلة في تجاوز أحد الطرفين الخط غير المرئي الَّذي يفصل الطرف الآخر عن العالم الروحي. إذا كانت الأشباح تتخلص من كل التقاليد فيما بينها، فلا يعني هذا أنه يمكن لأولئك الَّذين ما زال اللحم والدم يعوقهم أن يستغنوا عنها بأمانٍ.

ولمثل هذه الأسباب، ولأني تفكرتُ في أن الطبيب المتوفَّى قد يثقل كاهلي ببعض المهام البغيضة، والَّتي لا علاقة لي بها ولا رغبة، فقد عقدتُ العزم بعنادٍ على أنه ليس ثمَّة ما أقوله له. وبهذا العزم التزمت، ولم أتفوه بكلمةٍ لشبح الطبيب هاريس.

وعلى حد ما أتذكر، لم أشاهد قط الرجل العجوز يدخل غرفة القراءة أو يغادرها، أو يتحرك من كرسيه، أو يضع الجريدة، أو يتبادل النظرة مع أي شخص في الشركة، إلا إذا كان ذلك ضرورياً. ولم

يكن بأي حال من الأحوال في مكانه دائماً . ففي المساء، على سبيل المثال، مع أنني أتردد إلى غرفة القراءة كثيراً، فلم أره قطُّ هناك. واعتدت في ذروة الظهيرة أن أراه جالساً قبالة النار المتوهجة، كأنه حقيقي ونابض بالحياة مثل أي شخص آخر في الغرفة، ما خلا أنه كان طاعناً في السن، وذا بشرة شاحبة.

وبعد مدة طويلة من هذا التواصل الغريب، إذا كان من الممكن أن يسمى هذا تَواصلاً، أتذكر أنه نظر إليَّ من تحت نظارته نظرة حزنٍ شديد، نظرة إحباطٍ وعجز؛ نظرة حزن وعجز، ولو لم يكن قلبي قاسياً مثل حجر الرصف، لما كنت سأصمد أمامه. لكنني صمدت أمام ذلك. وأعتقد أنني لم أره بعد هذه النظرة الجذابة الأخيرة، التي لا تزال تسكن في ذاكرتي كما كانت عيناي تواجهان عيون الشبح الخافتة والمظلمة. وكلما تذكرت هذا المقطع الغريب من حياتي، أرى شخصية الطبيب هاريس الصغيرة العجوز الذابلة، جالساً على كرسيه المعتاد، وفي يده صحيفة بوسطن بوست، ونظارته مرفوعة إلى أعلى، ويحدق بي وأنا أغلق باب غرفة القراءة. لقد فات الأوان الآن!! فقد نما العشب على قبره واستطال منذ عام؛ وآمل أن يجد الراحة فيها من دون أي مساعدة مني.

لا يسعني الآن إلَّا أن أضيف أنه لم يمضِ وقتٌ طويلٌ بعد أن توقفت عن مواجهة الشبح حتى أدركت كم كان الأَمر برمته غريباً مستهجناً؛ وأدركت غرابتها من نظرات الدهشة وعدم تصديق في عيون أولئك الذين أروي لهم القصة.

الوحش المجهول

The Unknown Beast

هوارد إليس ديفز
Howard Ellis Davis

أحاطت المياه الراكدة بحافَة مستوطنة بايو لو تور الصغيرة الَّتي سُمِّيت القرية تيمناً بها، وكانتَ تصبُّ على بعد ميلٍ واحد جنوباً في مضيق المسيسيبي. أمَّا شمالاً، فتلتفُّ بين المستنقعات الكئيبة، لتختفي أخيراً في المستنقعات في الأعلى.

وتزاحمت أشجار السرو العملاقة على حافَة المستوطنة تزاحماً يوحي إلى الناظر وكأنها تنفر من فسحة الأرض الصغيرة الَّتي شغلتها سابقاً بجانب النهر. أمَّا بالنسبة إلى الجاهل للمكان فيبدو أن شراً مقيماً في أعماق تلك المستنقعات ذات الأدغال المتدلية القاتمة.

غير أن سكان بايو لو تور لم يصبهم بأسٌ ولم يمسسهم ضرٌّ من تلك المستنقعات، ما خلا الملاريا القاتلة، الَّتي فتكت بضحاياها في نوبات رعب وحمى مشتعلة، فالتهمت أرواح الناس كما تلتهم النار الغابة، وتستشري في البردي اليبيس. إلى أن أظهر ذاك الوحش المجهول نفسه أول مرة.

فانكمش الناس في بيوتهم خائفين عاجزين، أمام هذا الموت الغريب القابع في مستنقعاتهم الليلة، وطردوا أبقارهم من مراعيها

والشمس ما تزال في كبد السماء، واستدعت الأمهات أطفالهن ذوي الوجوه الشاحبة من مراتعهم ما أن استطالت الظلال.

وكان أول الضحايا الصياد سوان ديفيز، وهو عجوزٌ يعيش وحده على طرف النهر في المستوطنة. وكانوا وجدوه في المستنقع ميتاً، وظنوا أول الأمر أنه ضُرِب حتَّى الموت؛ إذْ كانت عظامه مكسرة مهشَّمة.

ثمَّ توصلوا إلى قرارٍ أن قوةً مجهولةً غامضةً حطَّمت عظامه، وأن شيئاً أمسكه وعصره، فهشم عظامه وكأنها رميم.

ثم هاجم الوحش أولاد أسرة بنتلي الثلاثة، وكانوا يقودون ليلاً مجموعةً من العجول من المستنقعات على طريق المستنقع. وكانت الماشية تسير بسلامٍ ساكنةً مطمئنةً، فخافت فجأةً، وشرت تتحرك بخطواتٍ متثاقلةٍ إلىً الأمام، وتخور بجنون. فخاف الأولاد من سلوك الحيواناتٍ الغريب، فجعلوا يتبعون الماشية بما استطاعوا من سرعةٍ سيراً على الأقدام.

فلمَّا خرج بطرس وجارد بنتلي من ظلال ذاك المستنقع، وجدا أن أخاهما سيمز لم يكن معهما .

ومع خوفهما الشديد، غير أنهما عادا إلى المستنقع، وجعلا يناديان عليه. فلم يسمعا كلمةً منه. فرجعا إلى المنزل سريعاً، وأخبرا بما حدث. فشرع رجال المستوطنة طول الليل يذرعون أرض المستنقع صعوداً وهبوطاً، وهم يحملون المشاعل. وفي الصباح، عثروا على جثة الشاب فيها كدمات وكسور، ولكن لا أثر لما قتله ولا دليل.

فلمَّا اجتمع أهالي بايو لو تور لمناقشة الظروف المحيطة بهاتين الوفيتين الغامضتين، أعلن الزنوج وآخرون أن روحاً شريرةً تسكن المنعزل الكئيب في شمال المستوطنة، في حين اتفق جلّهم على أن مخلوقاً غريباً، أو وحشاً مجهولاً يجوب المستنقعات في تلك الأنحاء ليلاً. مخلوقاً يقتل حباً في القتل.

فتسلَّح الناس بالبندقيات وذهبوا لقتله، ونصبوا أفخاخاً للدببة، وعلَّقوا فوقها لحماً كثيراً. لكن أحدهم لم يجرؤ على الخوض في المستنقع بعد هبوط الليل، إلى أن أجتمع أمر عشرة رجال من أقوى رجال المستوطنة ذات مرة، وشكلوا فريقاً، وقصدوا طريق السبخة على ظهور الخيل.

وقطعوا الطريق مثنى متقاربين، والأحصنة متلاصقة، فإن هوجم أحدهم اجتمع الفريق بأكمله على القتال وكأنه جسدٌ واحدٌ.

ولم يحصل شيء إلى أن آن وقت أوبتهم، وكان والتر براندون من أشجع الرجال فكان في المؤخرة، فتلكأ وتشتت انتباهه. وجعل حصانه يركض بين الآخرين فجأةً مذعوراً وقد خلى من خيَّاله.

لم يجدوا أثراً لوالتر، فما كان من التسعة الباقين إلَّا أن يرتدوا على أعقابهم، حاملين خبر والتر إلى زوجته، وكانت تحتضن طفلها.

وفي اليوم التالي، استكرى أبوها الشيخ أرنر هورن عربةً، وسافر قاطعاً إقليمين ليرى إدِ هاردين، ورجاه ليأتي معه ويخلصهم من ذاك الوحش، الَّذي كان يقتل سكان بايو لو تور واحداً تلو الآخر.

وكان إد هاردين مساعد الشريف في إقليمه، وقد ذاع صيت شجاعته وبسالته، وكان يتردد على بايو لو تور في كل صيف في موسم وفرة السمك فيها. وكان يتصيد أدياك الحبش في الشتاء في المستنقعات المحيطة بالمستوطنة. فعرفه الناس فيها معرفةً جيدةً، وعرفوا أنه لا يخشى بشراً، ولا وحشاً، ولا حتى شيطاناً.

ورجع في العربة مع العجوز أرنر، برفقة صديقه الشاب أليكس رو. فلمَّا وصلوا إلى بايو لو تور، وصل إلى أسماعهم أنهم جثّة والتر طافيةً على سطح مياه الرافد، وتحمل الآثار نفسها الَّتي حملها من قُتل من قبل، فجلبوها إلى الحافة حتى يتمكن إد هاردين من رؤية علَائم الموت الَّتي يتركها ذاك المخلوق في ضحاياه.

فلمَّا رأى إد هاردين الجثة، قطَّب وتجهم وأشاح. ولمَّا دخل إلى باحة بيت أرنر، كان الليل قد نشر أجنحته على المكان، وشرعت نسائم الليل تحفُّ أغصان السرو. فقصد الحظيرة، وسرج فرس أرنر الكميت، ثمَّ قادها إلى السياج الأمامي، وربطها هناك، ثمَّ رجع إلى المنزل.

فلمَّا دخل الرواق الَّذي يفصل البيت إلى قسمين توقف عندما سمع صوت نحيب امرأة. ثمَّ تابع سيره إلى الغرفة الَّتي خُصِّصت له ولصديقه الشاب. وكانوا أشعلوا مصباحاً من الكيروسين ووضعوه على الخزانة. وكان مساعد الشريف يثبت حزاماً فيه سكين عريضة ضخمة ومسدس، عندما دخل أليكس الغرفة بغتةً.

صاح الشاب: «إد هاردين!! ما الَّذي تفعله الفرس عند السياج الأمامي!؟ إلى أين أنتَ ذاهب؟».

«سأذهب يا أليكس إلى هناك لأصطاد الوحش!».

«لا! لن تفعل يا إد!! فأنتَ لا تعرف ما ذاك الشيء!! كيف...».

«أنا ذاهبٌ يا أليكس!».

«ولكن يا إدّ!! انتظر حتى الصباح! آخر رجلين ذهبا إلى المستنقع ليلاً قُتلا!!».

فانتصب مساعد الشريف ومدَّ قامته، وكان طويل القامة، عريض المنكبين، ثمَّ التفت إلى صاحبه الشاب وحدَّق فيه.

قال بهدوء: «سأذهب الآن!».

«ولكن يا إد. ألم تسمع ما قالوه!!؟ ألم تسمع ما قاله رينساي بكر. ذاك الزنجي العجوز!! قال إنه جدَّف في زورقه الشجري بالقرب من ذاك الرافد. يقول إنه سمع الهندو هناك يقولون إن ثمَّة وحشاً غريباً زاحفاً طليقاً. زاحفاً طليقاً في المستنقع، وإِنهم يراقبون الطريق خوفاً منه».

فقال إد: «إن كان ما يقولونه صحيحاً، فإني أريد الذهاب إلى هناك ومقابلته!».

«انتظر يا إد! انتظرني! فإني أريد الذهاب معكَ!».

وارتسمت ابتسامة واهنة على فم إد هاردين المتجهم، وقال: «لا يا أليكس!! أريد الذهب بمفردي!».

فلمَّا كان يفك لجام الفرس، تجمع حوله من كان راجعاً إلى الدار، وحاولوا أن يثنوه عن الذهاب بمفرده إلى المستنقع ليلاً.

غير أنه تأرجح بخفة صاعداً على ظهر الفرس، وخرج من المستوطنة قاصداً ظلال أشجار السرو العملاقة.

وكانت الفرس نشيطةً قلقةً، فجعلت تقفز خائفةً بين البرك الراكدة على طول طريق المستنقع..

وهكذا، خرج إدْ وحده عن عمد، جاعلاً من نفسه طعماً لذاك الوحش المجهول، وشعر بأنه يستطيع الاعتماد على خفة فرسه وطيشها وسرعتها إن باغته شيءٌ من الظلمات. وكان أشهر مسدسه الضخم من جرابه، ودسَّه في حزامه، حتى يسهل عليه الوصول إليه عند الحاجة.

وكان الطريق مظلماً فلم يرَ فسحةً أمامه، فأرخى رسن الفرس حتى لا يقيدها شيء إن أرادها أن تنطلق متى شاءت. وما أن تعمَّق في غياهب ذاك المستنقع الموحش، حتى صادفه أمرٌ غريبٌ ينذر بشرٍ.

لم يكن يعرف طبيعة المخلوق الَّذي يسعى وراءه، ومع ذلك مضى وحيداً بكل جسارة، وجعل من نفسه طعماً يغري به ذاك الوحش ليهاجمه ويواجهه!!

كان الليل مظلماً ظلمةً ثقيلةً، وبدا المستنقع ساكناً سكوناً غريباً، لا يُسمع فيه إلَّا صوت طيرٍ من طيور الليل يخرق السكون كل فينة وأخرى. وكان على درايةٍ بالطريق؛ لأنه سافر فيه مرات كثيرة، ولأن الناس وصفوا له بالتفصيل الأماكن الَّتي حصلت فيها تلك الوقائع العنيفة.

على بعد ياردات قليلة عن يسار الطريق الَّذي يسلكه حيث صادف الصياد مصيره. واجتاز الماكن حيث شُوهد براندون آخر مرة يُختطف إلى ظلمات الموت. فلا ريب إذن أن هذه الرقعة هي مكمنٌ ذاك المخلوق.

وجفلت الفرس بغتةً، ووقفت ترتعد، وأدارت رأسها إلى جانب الطريق، إذ اشتمَّتْ شيئاً أو رأته، فأشهر مسدسه، وأطلق النار بسرعة إلى الظلام. وحاول أن يُهدئ من روع فرسه، فاستطاع بعد لأيٍ أن يقنعها بالاستمرار في سيرها.

ثمَّ إن الفرس قد صوَّبت أذنيها نحو المكان الَّذي يخيفها، فأطلق إدْ هاردين النار مرتين على الظلال السود الَّتي بجانب الطريق بذاك الاتجاه.

لا ريب أن الوحش المجهول كان قريباً، يتربص به ويتقفَّى أثره بين الأدغال، أو فوق ذوائب الأشجار. وأمل إدْ أن يكون على الأرض - وإن كان ذلك احتمالاً ضئيلاً - حتى يتمكن من قتل الوحش أو جرحه، قبل أن تُتاح الفرصة له بالهجوم عليه.

وكان ينصت بعد كل طلقة، على أمل أن يسمع صرخةً أو أنيناً، أو حركة بين الشجيرات، غير أن الصمت المطبق كان مهولاً. وشعر برغبةٍ جامحة أن يطلق العنان لفرسه؛ لتُطلق قوائمها وتسابق الريح. لم يستطع أنْ يجبرها على السير بهدوء، فكانت تتأرجح بين طرفي الطريق جيئةً وذهاباً، وقد زملَّها الخوف الكبير.

وأصبحت الفرس الآن مضطربةً مذعورةً، فخالط الأمل قلب إدْ في أن تكون إحدى طلقاته قد لقيت مكاناً لها في جسد الوحش.. وتنفس الآن بحريةٍ أكبر بعد أن تكشفت الأفنان، ما عادت تتدلَّى فوقه.

ولكنه مع ذلك وجد نفسه تحت أغصان السرو الكبيرة، وكانت تحفُّ بالطريق من كل جانب.. وأخذ ينقِّل بصره من جانبٍ إلى آخر، محاولاً أن ينفذه في الظلمة الحالكة...

ومن بين الأشجار المتطاولة المتشابكة، سمع حفيف الأغصان، وظهر بغتةً شيءٌ مظلمٌ مهولٌ!!

فقفزت الفرس الخائفة من مكانها، وهبط هذا الكائن المجهول خلفها!!

أشهر هاردين مسدسه، غير أنه وجد أنه عاجز عن استخدامه؛ إذْ أن قبضةً هائلةً أوثقت ذراعيه إلى جانبيه، فعجز عن تحريكهما مع قوته الكبيرة..

وركضت الفرس خائفةً مرتاعةً، وكادت تلامس الأرض بجسدها ورأسها من عظم خوفها. وخرجت من المستنقع بسرعة رهيبة، عابرةً أرضاً مستويةً كانت أشجار السرو الكبيرة تغطيها ذات مرة، ولم يبقَ منها سوى أصولها السود الفاحمة، فبدت للعيان وكأنها أشباح سود تحتشد على طرفي الطريق.

وكانت رحلةً طويلةً مهلكةً للرجل، والموت رديف له. كانت الذراعان اللَّتان تحيطان به تضغطان ببطء على صدره، فتمنعان الهواء عن رئتيه، وشعر بأضلاعه تنحني بفعل هذه الضغطة القوية وتكاد تتكسر. وحافظ على الضغط على السرج بركبتيه واليأس يكاد يقتله.

وقبيل أن يغيب عن رشده، رمى بنفسه من فوق فرسه على حافة الطريق، والمخلوق المريع ما يزال يضغط بكل قوته، فانزلق السرج إلى بطن الفرس...

وصدما بقوة عنيفة أصل شجرة على حافة الطريق، في حين أن الفرس أطلقت ساقيها للريح.. وارتمى المخلوق المريع بجانب

الشجرة، وجعلته الصدمة العنيفة يرخي قبضته على إدْ هاردين. وبعد أن تحرر إدْ من الذراعين الهائلتين، رمى بنفسه بعيداً، وتدحرج بضع أقدامٍ على الجانب.

وكان المسدس قد وقع من بين أصابعه الواهنة المرتجفة، غير أنه الآن سحب سكين صيده الضخمة. وتوقع أن يهاجمه المخلوق من فوره بمخالبه وأنيابه، فارتمى على ظهره، وجمع ساقيه إلى صدره، وانكمش على نفسه كما تنكمش القطة وهي تدافع عن نفسها. وكان عرف أنه لا فائدة من مقارعة هذا الوحش المهول، وأن الأفضل له أن يدافع عن نفسه بقدميه، وينتظر فرصة ليجد لسكينه مغرزاً في جسده.

ثمَّ جعل الوحش يتراجع بعد أن بدا متردداً، وبدأ يدور حوله بسرعة مستقيماً وكأنه رجل، وكانت أذرعه الطويلة تتدلَّى أسفل ركبتيه. وكانَ له رقبةٌ سميكةٌ قصيرةٌ عليها رأسه المدور، وكأن الرأس يبزغ من الكتفين فوراً. وكان كلَّما دار الوحش حول إدْ، دار إدْ حول نفسه موجهاً له ساقيه.

وتراجع الوحش إلى الطريق، ومن ثمَّ التفت ومشى على مهلٍ بعيداً.

ولبث إدْ هاردين هنيهةً يراقبه، وهو لا يريد أن يغيِّر وضعيته. ثمَّ استجمع قوته واستوى واقفاً في مكانه.

ثمَّ استدار الوحش بغتةً على بعد قرابة خمسين قدماً من دون أن ينظر. وبغضبٍ عارمٍ اندفع نحوه!!

وكان المخلوق المجنون يركض ركضاً غريباً وهو يؤرجح ذراعيه الغريبتين من جانبٍ إلى آخر.

فارتدَّ الرجل إلى وضعيته السابقة، رافعاً ساقيه، ممسكاً بسكينه الَّتي سيضرب بها. وقبل أن يصل إليه قفز كالضفدع في الهواء مدفوعاً بتأرجح ذراعيه.

فلمَّا هبط خلف إدْ، دفعت الصدمة إدْ أن يجذب ركبتيه إلى صدره، ورفع ذراعه الأيمن ممسكاً بالسكين، فشعر بألم عظيمٍ كأن شيئاً لواها.

وسقطت السكين من يده، واندفعت إليه ذراعٌ طويلةٌ لها أصابع كالمخالب وأمسكت بشعره. ولفَّ الوحش ذراعيه حول إدْ وهو بوضعيته الحالية، وشرع يضغط بشدة، فشعر إدْ بأن ركبتيه تضغطان على صدره، وأنهما ستتحطمان وتتهشَّمان...

وغاب عن وعيه. فلمَّا آبت إليه حواسه ببطء بعد حين، أدرك وجود أضواء، وسمع أصوات حوافر أحصنة، وأصواتَ الرجال.

فأدرك أنه موضوعٌ على العشب على قارعة الطريق، وإلى جانبه شخص يتنهد، وعرف ذلك من تهدج صوته، وتقطِّع أنفاسه. فحاول أن يستدير ليرى من هو، فأدرك من فوره أن عاجز عن تحريك إصبع.

وسمع أصوات ثلاثة قادمين جدد، ورجلاً على صهوة حصان، وشخصان يركضان. فلمَّا اقترب الفارس سرعان ما قال:

«جئنا ما أن سمعنا أنكم ذاهبون بحثاً عن المدعو إدْ، الَّذي استجلبه أرن بعربته.. لا ريب في أن الوحش لحق به وقتله.. مسكين إدْ!».

وكان من بين الحسد عجوز أسود اسمه رنسي باكر، وكان بحاراً ألكنَ ثقيل اللسان، قال:

«إنه جوناس. الزنجي المعتوه الَّذي فرَّ من بيت أمه منذ عشر سنوات. لكنه كان بدهاء خمسة رجال، وبقوة خمسة. وله كتفان عريضتان، ورقبةً قصيرةً. وحدبةً على ظهره. وله ذراعان طويلتان تصلان إلى كاحليه. كان طيباً في تلك الأيام. لكن جماعة الهنود في المركب الشراعي كانوا يفرغون المخدرات في المنطقة المحلية في الأسبوعين الماضيين. وأرسلوا جوناس إلى الشاطئ لقتل الناس. كل من يراه. من أجل تخويف جميع السكان المحليين. حتى لا يكتشفوا ما يفعلونه! فلمَّا واجه السيد إدْ قتله. وها هو مستلقٍ ميتاً!».

وتكلَّم الرجل الَّذي بجانب إدْ هاردين، فعرفه إدْ. قال بصوتٍ أجشَّ: «أليكس!».

وعمَّ هرجٌ بين الحشد، فطلب أليكس أن يجلبوا ضوءاً. وذُعر رجلٌ آخر من بين الحشد بعد أن سمع رجلاً ظنوه ميتاً يتكلَّم، فركض ورفس فانوساً، فلعنه الجميع وسبوه.

لمَّا وصلت العربة، كان بالكاد ثاب إلى وعيه، ولا يقوى على الحراك، واستطاع أن يصعد إلى ظهر العربة بمعونةٍ من الآخرين، واستلقى على الدثار وكل عضو من أعضاء جسده تؤلمه.

وطلب الإخوان بانتلي الشبان إلى جنبٍ، وشرع الجميع يتهامسون فيما بينهم تشملهم الدهشة والاستغراب. وما لبثت الأحصنة أن بدأت تجر العربة على طول الطريق عائدةً إلى المستوطنة، ولم يكن برفقة إدْ إلَّا أليكس الَّذي رفض أن يتركه، والعجوز أرنر، أمَّا رنسي فذهب مع الآخرين.

واستطاع إدّ بعد يومين أن يتزحَّف خارجاً إلى مستشرف بيت أرنر الصغير، وجلس في نسائم الهواء العليلة الصادرة من الرافد، وبعد صمتٍ قليلٍ قال سائلاً:

«يا أرن! ما الَّذي كان الرجال يفعلونه في تلك الليلة!؟ فلم أفهم ماذا يقصدون!!».

«كانوا يخبئون مواداً لاذعةً واخزةً في صناديق، وما أشار إليه رنسي ما هو إلَّا نوع من المخدرات، الَّتي يحلونها على ظهر المركب... ورموها في الماء».

«وماذا فعلوا!؟».

«اعترف رئيس العصابة بعد أن استجوبه رنسي، وبعد أن رأى أن الحيلة انكشفت. وكانوا أرسلوا جوناس إلى هناك ليُبعد الناس عن طريق المستنقع ليلاً، وذلك بقتل كل من يمر من هناك. كانوا يذهبون إلى هناك بشاحنةٍ صغيرةٍ ويلقون بتلك المواد في مكانٍ ما».

«وماذا كان الصبية يفعلون؟».

فضرب أرنر على لحيته الكثَّة القصيرة، ودلف إلى الباحة، ومن ثمَّة استدار إلى مساعد الشريف قائلاً ببطءٍ:

«يا إدّ! أتيت إلى هنا أعزلَ لا سند لك ولا عون. أتيت تصطاد ذاك المخلوق الَّذي كان يقتل فينا، وسيظل مسعاك هذا مذكوراً طول الدهر، وستتناقله الألسن جيلاً بعد جيلٍ. أمَّا ما كانوا يفعلونه في المستنقع، وما يرمونه في مياهه فأمرٌ سَينساه الناس قريباً. فدعنا من هذا الكلام!!».

كهف الرعب

The Cave of Horror

الكابتن إس. بي. ميك
Captain S. P. Meek

قُذف الحارس في الهواء وهو يصرخ، وتردَّد في أركان الكهف صراخٌ مهولٌ.. لقد ضرب الرعب في كهف ماموث مرةً أخرى..

رفع الطبيب بيرد متململاً رأسه عندما فُتح باب مكتبته، فلمَّا رأى الشرطي السري كارنز من المخابرات السرية الأمريكية يدخل من الباب، استحال عبوسه ابتسامةً، وقال بفرح:

«أهلاً بكَ يا كارنز! تفضل واجلس! عدَّ نفسكَ في بيتك! سأوافيكَ ما إِن أنتهي من هذا!».

وجلس كارنز على طرف المقعد يراقب بإعجاب يدي العالم المشهور المضطربتين الطويلتين، وأصابعه النحيلة. وقف الطبيب بيرد مستوياً بطوله الَّذي يناهز ستة أقدام، ووزنه الَّذي يقارب مئتين وستة باوندات، ولعلَّ الناظر إلى شعره الكثيف الأسود الشعث، ومنكبيه العريضين يظنه مقاتلاً محنكاً، ما لم ينظر إلى يديه. لم تُخفِ البقع والندوب جمال هاتين اليدين، يدا فنان وحالم!! وكان الطبيبُ بيرد فناناً، يعبِّر فنه عن نفسه في التجارب الدقيقة والمعقدة في حقول العلم التطبيقي والنقي، الَّتي لم يُرَ مثلها في البلاد.

وانتهى الطبيب من عمله، ووضع معداته جانباً، ثمَّ التفت إلى صديقه، وقال:

«ما الخطب يا كارنز؟ تبدو قلقاً. أثمَّة تزوير في السوق؟!».

فلفَّت الشرطي السري رأسه.

قال: «أقرأتَ تلك القصص الَّتي ترويها الصحف عن كهف ماموث؟!».

فتأفأف الطبيب بيرد مستهجناً، وقال:

«قرأتُ أولى هذه القصص في صحيفة أسوشيتد برس، وكان هذا كافياً لي. فلم تؤثر في نفسي بمصداقيتها.. ثمَّ إن هذا أمرٌ مستحيلٌ. ليس لدي الوقت لأتفكَّر في نتاج صحفي واسع الخيال!».

«إذن أن تراها مجرد نتاج صحفي واسع الخيال؟!».

«لا ريب في هذا! وماذا تكون غير ذلك؟ لا تحدث أشياءَ مثل هذه بمحض المصادفة تزامناً مع افتتاح موسم السياحة. أظن أن هذه القصص ستجلب أناساً فضوليين إلى كنتاكي، مع أن العامة تستجيب استجابةً أفضل إلى قصص حيَّات البحر ووحوشه».

فقال كارنز ببطءٍ: «أُغلق كهف ماموث أمام الزوار لهذا الموسم».

فصاح الطبيب دهشاً: «ماذا؟ أثمَّة شيء صادقٌ حقاً في تلك القصص؟!».

«أجل. وأنا سأسافر إلى كنتاكي هذا المساء، ولقد جئتكَ مستعجلاً لأسألك إن كنتَ تريد القدوم معي. اقترح بولتون عليَّ أن أسألك،

وقال إن الأمر برمته كالسحر بالنسبة إليه، وإنكَ على معرفة بالسحر وفنونه أكثر منا. كتب إليكَ كتاباً يسألك فيه خدماتكَ، والكتاب في جيبي الآن، فهل أنتَ مهتم؟».

«وكيف هذا!؟ يبدو الأمر لي وكأنها مسألة تخص الدولة. أليس كهف ماموث حديقة وطنية!؟».

«يظهر أنكَ لا تقرأ الصحف ولا تتابع أخبارها. ظلَّت تلك القضية مسألة تخصُّ الدولة إلى أن طلب الحاكم معونة القوات الفيدرالية، فأي تشريع يقع في ورطة، فإن الحكومة الفيدرالية تتدخل».

«لا علم لي بالأمر. أخبرني عن القضية!».

«هل ستصاحبني!؟».

فلفَّت الطبيب بيرد رأسه ببطءٍ قائلاً: «لا أعرف كيف أخدمكم يا كارنز؛ فأنا في منتصف عملٍ مهمٍّ في غاية الأهمية، ولم يصل هذا العمل إلى مرحلة أستطيع أن أُكلف مساعداً بإكماله».

فقام كارنز وقال: «لن أزعجكَ بالتفاصيل إذنْ!».

فصاح الطبيب: «اجلس! بالله عليك! أخبرني بالقضية، وسأعلمكَ بعدها إن كنتُ سأذهب أمْ لا. لا وقت كافياً عندي، ولكن إن لفتت القضية انتباهي فلعلَّي...».

فضحك كارنز، وقال: «حسنٌ أيها الطبيب! سأخبركَ بالقضية على أقل من مهلي وإن لم ترد مصاحبتي. ألديكَ علم بها!؟».

«لا! فلقد قرأتُ نصف القصة الأولى ومن ثمَّ توقفتُ. فلتبدأ من البداية وأخبرني بالقصة بأكملها!».

«أدخلتَ كهف ماموث من قبل؟».

«لا!».

«إن كهف ماموث – أو بالأحرى كهوف ماموث – سلسلة من عدة كهوف، تقع في مقاطعة إدمونسن في وسط كنتاكي، وهي تجاويف جيرية تمتلئ بالصواعد والهوابط الهائلة في حجمها، وجميلة في شكلها. تلك الكهوف واسعة عميقة، وتقع على عدة مستويات، فمن المهم أن يستعين الزوار بمرشد إن أرادوا الدخول إليها، زلا ريب في أنهم يحتاجون إلى مرشد إن أرادوا الخروج منها. ولا يسير الزوار إلاَّ في مساراتٍ محددة، ولا يُسمح لهم إلَّا نادراً بالتجوال في مسارات غير تلك. وجزء كبيرٍ من الكهف لم يُستكشف حتى الآن، أو تُوضع خرائط له. ومنذ قرابة شهر دخل فريق من فيلاديلفيا إلى الكهف ومعهم المرشد. وكان الفريق مكوناً من رجلٍ وزوجته وطفليهما، وهما صبيٌّ في الرابعة عشرة من عمره، وفتاة في الحادية عشرة. وكانوا قد أوغلوا في الكهف، لمَّا شعرت الأم بالتعب، فعزمت هي وزوجها على الجلوس، إلى أن يُري المرشد الطفلين بعض المناظر قبالتهما، ومن ثم يعودون إليهما، غير أن المرشد والأطفال لم يعودوا قط».

«ماذا حدث لهم؟».

«لا أحد يعرف، ما يعرفه الناس إن أحداً لم يرهم منذ ذاك الحين».

«أهي قضية اختطاف؟».

«ليست كذلك، فلم تظهر لنا أدلة تدل على اختطاف، مع أن الناس ظنوا أول الأمر أنه كذلك. انتظر الأبوان قليلاً، وتقول الأم إِنها سمعت

صراخاً واهناً في البعيد، بعد مغادرة المرشد والأطفال، غير أنها كانت بعيدةً جداً، حتى إن الأم لم تكن واثقة بأنها سمعت في الأصل شيئاً . لكن هذا لم يسترعِ انتباهها . فلمَّا انقضت نصف ساعةٍ على ذهابهم بدأوا يشعرون بالقلق، فأخذ الأب مشعلاً وذهب ليبحث عنهم. فتاه، وهذا ما يحصل غالباً، فلمَّا فشل في الأوبة، قصدت الأم مدخل الكهف خائفةً مذعورةً، وصرخت طالبةً للنجدة. وسرعان ما اجتمعت طائفة من الراغبين في المساعدة، واتخذوا طريقهم في الكهف. وما لبثوا أن وجدوا الأب، لكنهم فشلوا في إيجاد الأطفال بعد ثلاثة أيام من البحث، ولم يجدوا أثراً لهم إلَّا سواراً عرفته الأم، وجدوه مكسوراً، وكأن شيئاً عنيفاً كسره. ولم يظهر لهم أي أثرٍ لقتالٍ أو صراعٍ. فلمَّا وجدوا السوار انتفت من أذهانهم عملية الخطف؛ لأن المرشدَ المفقود جون هاريل كان يعرف الكهف معرفةً جيدةً، فقدَّر الناس أنه تاه. وعرض الأب مكافأة مجزيةً لإيجاد طفليه، فألهم هذا الناس، وشرعوا في البحث كرَّةً ثانيةً، واستكشاف الأركان المجهولة في الكهف. ثم جاءتهم الفاجعة الثانية! ضاع اثنان من الباحثين ولم يعودا . غير أن الناس هذه المرة سمعوا صراخاً واهناً وأصوات طلقات من مسدسٍ، فيبدو أن ثمَّة عنفاً وقع. ورافق ذلك الصراخ «عويل غريب»، كما قال من سمعه، فاتجه الباحثون في بحثهم من فورهم باتجاه مصدر الصوت، فوجدوا مسدساً لا يبعد عن مكان السوار إلَّا بضعة أمتار، وكان المسدس فارغاً!!».

«وهل ثمَّة آثارٌ على الأرض!؟».

«قال الباحثون أن الأرض بدت لهم رطبةً قليلاً، وزلقةً أكثر من المعتاد، وهذا كل شيءٍ. وتحدثوا أيضاً عن انبعاث رائحة ضعيفة من المسك، غير أن القول لم يثبته البقية بعد أن وصلوا إلى المكان ببضع دقائق».

«وماذا حصل بعد ذلك؟».

«لجأ الأهل إلى الحاكم، فأرسل حفنةً من الحرس الوطني من لويسفايل إلى كهف ماموث. فخيموا على وصيد الكهف، ومنعوا الجميع من دخوله. واخترق الجنود الكهف ببندقياتهم العسكرية، لكنهم لم يجدوا شيئاً. فمنعوا الزوار من زيارة الكهف، وخصصوا دوريات نظامية وحرساً تجوب الكهف وتترصد ما فيه. وسرعان ما اختفى أحد الحراس، ولم يجدوا أثراً له غير بندقيته، ولم يكن أطلق رصاصةً منها. فزادوا من عدد الحرس، ولم يحدث شيئاً عدة أيام. ثمَّ اختفى حارساً آخر، وخرج رفيقه من الكهف راكضاً وهو يصرخ. فلمَّا استعاد رشده قال إنه ذهب مع رفيقه إلى النوم، فلمَّا استيقظ وجد أن رفيقه اختفى. فنادى عليه، فوصله صفيرٌ غريبٌ، فَقَفَّ لذلك شعر رأسه. فجعل يدير مصباحه في أركان الكهف، فلم يرَ شيئاً، وقال - بل أقسم - أنه سمع صوت أقدام زلقة تقترب منه، وشعر بأن أحدهم يتربص به. فتجمَّد في مكانه ساكناً قَدر تحمله، ومن ثمَّ رمى بندقيته، وولى هارباً قاصداً النجاة بنفسه».

«أكان سكرانَ؟!».

«لا! ولم يكن يهذي أيضاً؛ لأن دوريةً وجدت بندقيته حيث قال إنه رماها، ولكن لم يجدوا أثراً لرفيقه. ولم يجرؤ الحرس بعد الَّذي

سمعوه وواجهوه على دخول الكهف مرةً ثانيةً. فطلب الحاكم الجيش النظامي، واستدعى كتيبةَ مشاة من فورت توماس لإنقاذ الحرس، غير أنهم واجهوا ما هو أسوأ ممَّاً واجهه من سبقهم وأكثر رعباً. فقد خسروا رجلين في أولى ليالي حراستهم؛ فقد سمعوا صوت خمس طلقات، فاندفعوا إلى مكان إطلاق الرصاصات، فوجدوا البندقيتين ولم يجدوا الرجلين. وشرع الضابط النهاري يبحث بحثاً دقيقاً في الجوار حوله، فوجد شقاً في الجدار يمكن من خلاله سحب جسد رجلٍ بالقوة، وكان الشق يبعد عن مكان نوم الحارسين قرابة مائة ياردة. وكان ثمَّة دماء حديثة على طرفي الشق، وتطوع عدد من رجاله للدخول في الشق والبحث في داخله، لكن الضابط لم يكن ليسمح لهم، وسلَّح نفسه بقنبلتين يدويتين، وبمصباح يدويٍّ، ودخل بنفسه، وكان هذا في يوم الثلاثاء الماضي، ولم يرجع حتى الآن».

«ألم يسمعوا صخباً أو ضجيجاً يصدر من الشق!؟».

«لا! على الإطلاق! وكانوا وضعوا محرساً فيه رشاشين مصوَّبين إلى الشق في الجدار، وحرساً من ثمانية حراس ورقيب مكلفين فيه. وفي الليلة الماضية، وفي قرابة السادسة، وفي حين كان الحرس يجلسون حول أسلحتهم، وإذ برائحة مسك تفوح ظاهرةً. فلم يهتمَّ أحد منهم بها كبير اهتمام، لكن أحد الحرس سُحب بغتةً في الهواء من دون سبب واضح، فصرخ صراخاً عالياً من شدة الخوف، فجاءه صوتٌ أشبه بعويلٍ غريبٍ، تبعه صمتٌ. فلمَّا عاد ضابط الدورية النهاية بدعم، اشتموا رائحة مسك شديدة في الهواء، ودم ينتشر في أرجاء المكان، وكانت الرشاشات هناك، وأحدها ملويٌّ، وكأنه كاد أن ينفجر.

فأمر الضابط المسؤول بإجراء تحقيق في المكان، وأمر جميع الرجال أن يخرجوا من الكهف، وخابر السلطات في وزارة الحربية، فوجد وزير الحربية بولتون أن هذا أمرٌ عسير، ومطلب خطير، فطلب العون بدوره، فأرسلني إليكَ. فهل ترى أن تجربتكَ يمكن أن تنتظر في ضوء ما رويتُه لكَ تواً؟!».

وازدادت تغضنات جبهة الطبيب بعد أن أخبره كارنز هذه القصة، ثمَّ اختفت بغتةً، وقفز على قدميه كما الأطفال، وقال: «ومتى سنغادر؟».

«في غضون ساعتين أيها الطبيب. تنتظرنا سيارة في الأسفل، وكنتُ حجزتُ لكلينا في فندق ساوثرن لقضاء هذه الليلة. عرفتُ أنكَ ستصاحبني في الواقع، فحصلتُ على موافقة على طلب خدماتكِ قبل أن آتي وأقابلكَ».

وسرعان ما قصد الطبيب بيرد مخبره، وأخذ معطفه وقبعته من الخزانة.

ولمَّا يتبع الشرطي السري خارج البناء قال له: «أرجو أنك تدرك يا كارنزي العزيز أنني مولع بكَ، وأنني سأترك عملي واختباراتي أسبوعين إرضاءً لكَ، ولأمنع عنكَ المشاكل، وإني أعلم أنني سأجدها هباءً منثوراً عندما أرجع. فهل يا ترى أنتَ تستحق هذا كله؟!».

فقال كارنز: «هراء! فإني سعيد سعادةً بالغةً لأنكَ صحبتني، ولكن لا داعي لأن تتظاهر بأني استجررتُ رجلكَ إلى هذا استجراراً؛ فإن في مغامرة كهذه لن تمنعكَ الأصفاد، ولن تصدكَ الأغلال عن كهف ماموث، أكنتُ ذاهباً إلى هناك أمْ لا».

وفي عشية تلك الليلة نزل الطبيب وكارنز من عربة القطار في غالسكو، ومن ثمَّ توجها إلى كهف ماموث، وعرفا نفسيهما إلى الرائد المسؤول عن الكتيبة الحارسة، فأمر الرائد حرساً لهما يرافقوهما، ومن ثمَّ طفقا يحققان مع الحرس الَّذين شهدوا الرعب المهول المخفي الَّذي يقطن في الكهف. ولم يختلف ما رواه الشهود عمَّا ذكره بارنز للطبيب في واشنطن اختلافاً كبيراً، ما عدا أن الضابط الَّذي حقَّق في الهجوم الأخير فشل في دعم رواية رائحة المسك الَّتي ذكرها الآخرون كثيراً.

قال: «ربما كان مسكاً، لكن الرائحة تبدو لي مختلفة. أصدف أن اقتربت يوماً من جحر الأفعى المجلجلة؟».

فأومأ الطبيب دلالة الإيجاب.

«إذن فأنتَ تعرف تلك الرائحة الغريبة الَّتي تنبعث من ذلك الوكر. هذه الرائحة تشابه تلك، ومع أنها ليست نفسها قط. فيها شيءٌ من رائحة المسك، لكنها أقرب إلى رائحة أفعى بالنسبة إليَّ. أنا أحب رائحة المسك، لكن هذه الرائحة تبعث الرعب في نفسي».

«أسمعتَ أي ضجيج؟».

«لا، على الإطلاق.. وصف بعض الرجال ضجيجاً غريباً تصدر، وربما صدرت من الرجال المرتعبين أنفسهم ؛ فقد شهدتُ رجلاً في جنوب أميركة ذات مرة وقد عصرته أصلةً، والصوت الَّذي صدر منه لربما يطابق الصوت الَّذي وصفه الرقيب جرفيس العجوز».

قال الطبيب: «شكراً لكَ أيها الضابط!! سأتذكر ما قلتَه لي تواً! أظنُّ أننا سندخل إلى الكهف الآن!!

«أوامري ألَّا تأذن لأحدٍ بالدخول أيها الطبيب!».

«العذر منكَ! أين هي رسالة وزير الحربية يا كارنز!؟».

ويقدم كارنز الرسالة إلى الضابط، فيفحصها، ويطلب الأذن منهما بالانصراف، ثمَّ يرجع بعد دقائق مع الضابط المسؤول.

يقول: «بناءً على تلك الرسالة، فلا خيار عندي إلَّا أن أسمح لكما بدخول الكهف، لكنني أحذركما أن هذا على مسؤوليتكما الشخصية! وسأعطيكما مرافقاً إن شئتما!».

«لو أن الرقيب بيرس يرافقنا دليلاً لنا، فهذا كل ما أحتاجه».

فشحب وجه الرقيب قليلاً، غير أنه قوَّم كتفيه، وقال: «أتودان البدء على الفور؟».

«سننطلق في غضون دقائق. ما شكل أرض الكهف حيث سنذهب؟».

«زلقة رطبة يا سيدي».

«زلقة جداً؟».

«أجل يا سيدي».

«في هذه الحالة علينا انتعال أحذية رياضية لها مسامير معدنية، فنستطيع الركض بها إن اضطُررنا. أيمكن أن تجلب لنا أحذية مثل هذه!؟».

«لبيك يا سيدي!».

«جيد! ما إِن نحصل عليها سننطلق! وفي هذه الأثناء، أيمكنني أن ألقي نظرةً على البندقية الَّتي وجدتموها؟».

وسرعان ما جلبوا البندقية للطبيب، فنظر إليها يتفحصها، وشمَّها، ثمَّ أخرج من جيب سترته قارورةً فيها سائل، ودهن جسم البندقية فيه، ثمَّ مسحه بيده بقوة، وشمَّها ثانيةً، وبدت عليه الخيبة، فشرع يفحص البندقية كرَّةً ثانيةً.

قال أخيراً: «كارنز! أترى على هذه البندقية أي شيءٍ يشابه آثار أسنان؟!».

«لا شيء أيها الطبيب!».

«ولا أنا! ثمَّة آثار هنا لعلَّها آثارُ بصمات لعملاق طوله أربعون قدماً، وهذه الأثلام المتوازية يبدو أن سببها ضغطٌ هائلٌ، ولكن ليس ثمَّة علائم لأسنان. غريب! لا تفوح من البندقية رائحة البارود! حسنٌ! لا فائدة من التخمين والفرضيات، فما يواجهنا موقف غامض لا نظرية. لننتعل هذه الأحذية، ونرى ماذا سنجد!».

وتقدم الطبيب بيرد، وتبعه عن كثب كارنز والرقيب يحملان مصابيح كهربائية. وحمل الطبيب في كلّ يدٍ قنبلة فوسفورية، وكان يعرف أن كارنز يتأبط مسدساً. وما إِن قطعوا عدة أمتارٍ في الكهف حتى تقدمهم الرقيب ليقودهم.

فقال الطبيب: «سأتقدمكم! اتبعاني، وأشيروا عليَّ في الاتجاه الَّذي سأسلكه بالضغط على كتفي! ولا تتكلما بعد أن ننطلق، واستعدا لأن تُطلقا ساقيكما للريح في أيِّ لحظة! لنذهب على بركة الله!».

وشقَّت الجماعة طريقها إلى بطن الكهف، وكانت الأحذية الرياضية الَّتي ينتعلونها تصدر صليلاً وقرقعةً على الأرض، وكان صوتها يتردد في أركان الكهف جيئةً وذهاباً، ثمَّ ذوت في همسات غريبة جعلت شعر كارنز يقفّ. وتابعوا المسير، يقودهم الطبيب، ويرشده الرقيب بالضغط على كتفه، ويتبعهما كارنز عن كثب. واستمروا هكذا نصف ميل، إلى أن توقف الطبيب تحت وطء ضغطة شديدة على كتفه. وأشار الرقيب إلى شق في الجدار أمامهم، فاتجه كارنز إلى الشق ليفحصه، غير أن الطبيب أشار إليه أن يتوقف، فتوقف.

وتقدم الطبيب بحذر وبطء شديدين شيئاً فشيئاً، وهو يحمل القنبلتين في يديه جاهزتين. ووصل إلى الشقّ، فوضع قنبلة في جيب سترته، وقرَّب إلى الشق مصباحه الكهربائي، وأرسل في داخله المظلم شعاعاً من ضوء.

ووقف هنيهةً على وضعته تلك، ثمَّ استوى بغتةً وهو يصغي. سمع الجميع صوت حسيس ونصيص يقترب منهم، ولم يكنْ يصدرُ من جهة الشق، بل من جهة باطن الكهف. وترافق هذا وانبعاث رائحة مسكٍ زاحفية[1] ضعيفة.

صاح الطبيب: «اركضا! أطلقا ساقيكما للريح! فالوحش طليق في الكهف!!».

فاستدار الرقيب وانطلق بأقصى سرعته، إلى أن وصل إلى وصيد الكهف، وكان كارنز في إثره. أمَّا الطبيب بيرد فتوقف هنيهةً،

١- نسبة إلى: (زاحف).

وأحدَّ سمعه، ومن ثمَّ رمى قنبلةً. وصدر من القنبلة حيث ارتطمت ضوءاً لامعاً، وارتفع سحابة بيضاء في الهواء. وكان الطبيب في أيام دراسته رياضياً لامعاً، ولم يذهب هذا اللمعان هباءً؛ فسرعان ما لحق بصاحبيه الهلعين الراغبينٍ في الذود عن حياتهما. وارتفع من خلفهم في الظلمة همهمة وهديراً يجمِّد الدم في العروق. وازداد ارتفاعه شيئاً فشيئاً، ثمَّ انتهى بغتةً بنخيرٍ وقرقعة، وكأن الهواء الَّذي يصدر الصوت انقطع بغتةً. وتعاظم صوتً الخشخَشة والحفيف من خلفهم.

وصاح الطبيب بهلعٍ كبيرٍ: «أسرعا!»، وهو يضع يده على كتف كارنز ويدسره.

وأصبح الصوت مسموعاً واضحاً، فتوقف الطبيب قليلاً، واستدار ليواجه الرعب القادمِ. فلم يكشف له المصباح الكهربائي شيئاً، غير أنه أحدَّ سمعه هنيهةً، ومن ثمَّ رمى بقنبلته الثانية. وأرشق الضوء ببصره. وطارت القنبلة في الهواء ثلاثين ياردة، ثمَّ اصطدمت بعائقٍ غير مرئي، واتجهت إلى الأرض. وقبل أن تضرب الأرض توقفت، وارتفعت في الهواء. وانطلق صراخُ ألم حادّ ملأ الكهف بهديرٍ يصمُّ الآذان. فولَّى الطبيب هارباً مرة أخرىً يلحق برفاقه.

ولاح لهم مدخل الكهف من بعيد، فلمَّا وصلوا إليه زفروا زفير ارتياح. واندفع الحرس إلى داخل الكهف يشهرون بندقياتهم، لكنَّ الطبيب لوَّح لهم أن يرجعوا.

قال وهو يلهث: «لا شيء وراءنا يا رجال! كنا نُطارَد قليلاً، غير أنني رميتُ بقنبلتين فوسفوريتين، ولا ريب في أنهما أحرقتا أصابعه، لما أصدره من جلبة وأنين. على كل حالٍ، توقف ذاك الشيء عن ملاحقتنا!!».

وبادره الرائد قائلاً: «أرأيته أيها الطبيب؟».

«لا! لم أره! لم يره أحد من قبل. لم يرَ أحد شيئاً مثل هذا. لقد سمعته، ومن صوته أقول إنَّ لديه سعلاً قوياً. في الأثل، بدا صوته لي أجشَّ مبحوحاً، فرميتُ ببعض الفوسفور إليه حتى يتنحنح. غير أني لم أره أو ألمحه».

«بالله عليكَ أيها الطبيب! ما هو؟!».

«وما أدراني أيها الرائد؟ كل ما أعرفه أنه ضربٌ جديد من المخلوقات لا يعرفها العلم، ولا علم لي بهيأته. على كل حالٍ، آمل أن أعرفه عمَّا قريب، فأخبركم به. ألديكم مكتب برق هنا؟».

«لا، لكننا نمتلك جهازاً لاسلكياً هنا. ولديهم جهاز راديو نقَّال يمكِّننا من الاتصال بأي شبكة عسكرية».

«جيد! أيمكنك أن تطلب إليهم أن ينصبوا لي خيمةً؟!».

«أمركَ أيها الطبيب!».

«جيد! سأذهب إلى هناك. ألا أرسلتَ عامل الراديو إليَّ، وأكون لكَ من الشاكرين!؟ أريد أن أرسل ببرقيةٍ إلى المكتب ليزودوني بجهازٍ أريده!».

«حباً وكرامةً! ألديك ما تنصحني به بخصوص الحراسة؟».

«أجل، ألديك هنا... أوَ هل من الممكن أن تستحصل لي على ماشية؟».

«ماشية؟!».

«أجل، وأفضِّل أن تكون من الخراف، أو من الخنازير، أو النعاج. والخراف أفضلها!».

«سأرى ماذا يمكنني أن أفعل!».

«حاول جهد استطاعتكَ! ولا تقلق بخصوص ثمنها؛ فإن صندوق الشرطة السرية ليس كصندوق الجيش. إن حصلت على الخراف، فابعث باثنتين أو ثلاثة منها في الكهف، فإن عجزت فأخرج رجالك وحرسك منه، واحرص أشدَّ الحرص على تسليحهم جيداً، فإن حصلت جلبة في أثناء الليل فأمرهم بالانسحاب والهرب. آمل ألَّا يخرج من الكهف! ولكن، من يدري!!».

وما لبث الجنود أن جلبوا الخراف، فوضعوا بضعةً منها في داخل الكهف. وبعد ساعتين سمعوا خُواراً وثُغاءً شديدين يصدران من الكهف، فترك الحرس محارسهم كما أُمروا وتبعثروا، لكن الصوت لم يقترب من وصيد الكهف، وسرعان ما ساد الصمت.

قال الطبيب للضابط المسؤول: «آمل أننا لن نحتاج في الأيام القليلة القابلة إلَّا إلى هذا! لكنَّ الأفضل لنا أن تستجلب بضعة خراف أخرى في الصبح؛ فنحن نريد أن يبقى الوحش شبعاناً. أثمة دبابة في فورت توماس؟».

«لا!».

«أعلم واشنطن إذن أنني أريد أسرع دبابة تتسع لثلاثة رجال في الحال. وأخبرهم أن الأمر ضروري، فإن خفت من جريرة هذا فذيِّل برقيتك باسم: «بيرد»».

ودفع القوم ببعض الخراف إلى بطن الكهف، قبل أن يصلهم الجهاز الَّذي طلبه الطبيب من واشنطن، فسمعوا الصراخ والثغاء نفسه. وكان فريق البحث في أثناء بحثه في الصباح لا يجد أثراً للخراف. واتفق أن وصل قطارٌ خاصٌّ مبعوثٌ من العاصمة إلى المكان، بعد وصول الطبيب بأسبوع، يحمل على ظهره أربع آلاتٍ وصناديق. فأمر الطبيب بإنزال الصناديقَ، وبجمع بعض أجزاء الآلاتً ببعض. وقبل أن يتمَّ جمع تلك الأجزاء وصلت الدبابة الَّتي طلبوها من كامب ميد، فجعل العمَّال الميكانيكيون ينصبون فيها ما يطلبه الطبيب منهم أن ينصبوه.

وكان أول جهاز نصبوه داخل الدبابة مولداً كهربائياً له تصميم غريب، وصلوه بمحرك الدبابة. ووجهت القوة الدافعة الكهربائية الناتجة على هذا النحو عبر فجوة شرارة لها حواف معدنية. ورُكِّز الضوء الناتج بسلسلةٍ من عاكسات القطع المكافئ، موجهة ضد منشور كوارتز كبير، ومن ثمَّ من خلال عدسة مصممة لإلقاء شعاعٍ متباعدٍ قليلاً.

قالٍ الطبيب بيرد شارحاً لضابط إشارة يراقب مراقبة المهتم الفطن: «هذا الجهاز مُصَمَّمٌ في المكتب لإصدار أشعة عظيمة فوق البنفسجية. ولا شيء خاص في المولِّد ما عدا أنه عالي التأثير، ويُصدر قوةً محركةً كهربائيةً فوريةً. ويسير التيار الصادر عبر هذه الرؤوس المصنوعة من خلائط معدنية. وهي مادة طورها المكتب. وجدنا من خلال التحقيق أن شرارة أصدرت ضوءاً غنياً بالأشعة فوق البنفسجية عند مرورها بين نقاط المغنيسيوم. ومع ذلك، لا يمكن استخدام مثل هذه النقاط للتعامل مع تيارٍ ثابتٍ؛ بسبب قلة المتانة وسهولة الاندماج،

لذلك ضُغط خليط من الجرافيت، والألوندوم، والمغنيسيوم المعدني معاً باستخَدام مادة رابطة تتحمل الحرارة. وهكذا نحصل على المزايا الثلاثية لإنتاج الضوء فوق البنفسجي، والمتانة، والمقاومة العالية. ويلتقط نظام العاكسات كل الضوء الناتج ما خلا الجزء الصغير نسبياً الَّذي يسير في البداية في الاتجاه الصحيح، ويوجهه على منشور الكوارتز هذا ينقسم الضوء إلى منشوره، بسبب القوى الانكسارية للمنشور. الأجزاء المكونة للأشعة تحت الحمراء وذلك الجزء من الطيف الَّذي يقع في النطاق المرئي؛ أي من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي، يمتصه جسم أسود، مما يترك الجزء فوق البنفسجي حراً لإرسال شعاع من خلال عدسة الكوارتز هذه».

فقال ضابط الإشارة معترضاً: «ظننتُ أن هذه العدسات ستمتص الضوء فوق البنفسجي!».

«إن كانت من زجاج، لكنَّ هذه العدسات فمصنوعة من كريستال صخري، وهو نفوذ للأشعة فوق البنفسجية.. سيفيدنا هذا الجهاز بأننا سنوجه أشعته أمامنا ونحن نسير في دبابة».

«بكلمات أخرى: ضوء غير مرئي!؟».

«أجل. صحيح، غير مرئية للعين البشرية. إن تأثير هذا الشعاع من الضوء فوق البنفسجي في شكل حروق شمسية شديدة سيتضح إن عرضت بشرتك له، واستمرار التحديق فيه قد يكون كارثياً، إذ قد يؤدي إلى إصابة شديدة بالعين، وضعف مؤقت في الرؤية، وهي إلى حد ما الأعراض نفسها الَّتي تظهر في العمى الثَّلْجِيّ».

«فهمت! أيمكنني أن أسألك الهدف من كل هذا!؟».

«لا ريب! فقبل أن نتمكن من محاربة هذا الكائن الغريب من عوالم أخرى، من الضروري لنا أن نعرف حجمه ومظهره؛ فهو لم يظهر لأحدٍ من قبل، ولم تسجله كتب التاريخ والعلوم، فأنا مجبرٌ على التكهنٍ والحدس بطبيعة هذا الحيوان. لعلك تدرك حقيقة أن خاصية الاختراق الَّتي تمتلكها جميع الموجات هي دالة على ترددها، أو ربما يجب أن أقول: طول موجتها؟».

«من غير ريب!».

«الأشعة الضوئية المرئية الأطول لن تنفذ إلى داخل المادة المُسلَّطة عليها كما تنفذ الأشعة فوق البنفسجية. لا ريب في أن هذا الزائر من جنسٍ لم نكتشفه بعد، ولا غرو في أن مجاهل هذا الكهف وأسرابه لم تعهد الضوء المرئي. يبدو لي أن لون سكان هذا الكهف من لون الأشعة فوق البنفسجية؛ لذا، غابت عن عيوننا!».

«أنا لا أفهمكَ ايها الطبيب!».

«معذرةً! أنتَ تفهم بالطبع ماذا يعني اللون؟ إن أشعة الشمس مزيج من عدة ألوان؛ فيها الأحمر القاني وتشمل اللون فوق البنفسجي، وعندما تقع هذه الأشعة على شيءٍ ما، تنعكس منه أشعة محددة، وتُمتَص أشعة أخرى. فإن انعكستَ الأشعة الحمراء، يبدو الشيء أبيض للعيان، أمَّا إنِ امتص الأشعة فيبدو أسود».

«أفهم هذا!».

«ولا ترى العين البشرية الأشعة فوق البنفسجية. فلنفترض إذن أن

لدينا شيء، أكان حياً أم ميتاً، وكان سطحه لا يعكس سوى الضوء فوق البنفسجي، فما النتيجة؟ سيكون الشيء غير مرئي!».

«أفكر أنه سيكون أسود إن امتص كلّ الأشعة ما عدا الفوق البنفسجية».

«أصبت! ولكن، تفكَّر في أنني لم أقل إِن الأشعة الآخرة قد امتُصت. أتعرف الفلوريسين؟».

«لا!».

«بل أظن أنكَ تعرف! إنه الصبغ المستخدم في صنع الأسلاك المتلوِّنة. فإن ملئنا وعاءً زجاجياً بمحلول الفلوريسين، ونظرنا إليه بوساطة ضوء منعكس فإنه يبدو أخضر. وإن نظرنا إليه بوساطة ضوء نفوذٍ يبدو أحمر، وأقصد بالضوء النفوذ ذاك الضوء الَّذي ينفذ في المحلول. وبكلمات أخرى، هذه مادة تعكس الضوء الأخضر، وتسمح بمعبر مجاني للأشعة الحمراء، وتمتص كل الضوء المتبقي. إن صح ظني، فإن هذا المخلوق الَّذي نسعى وراءه مركبٌ من مادةٍ تسمح بمرورٍ مجاني لكل الأشعة المرئية، وتعكس في الوقت نفسه الضوء فوق البنفسجي. هل أوضحتُ لك كلامي؟».

«تماماً!».

«جيد جداً! سيسلط جهازي إلى الأمام شعاعاً من الأشعة الفوق البنفسجية، وهي أشعة مركزة أكثر من تركيزها في أي ضوء كهربائي. وإني آمل أن هذا الضوء سينعكس على جسد المخلوق انعكاساً كافياً يسمح لي بتصويره!».

«ولكن، ألن تمنع عدساتك الضوء الفوق البنفسجي من الوصول إلى شريحة التصوير؟!».

«العدسات العادية الزجاجية تمنعه، لكنني أمتلك مصورة هنا مزودة بعدسات كريستالية، وهي ستسمح بالضوء الفوق البنفسجي بالنفوذ منها من دون عائق، وانحراف قليل. وأود أن تكون مصورتي مشحونة بفيلم أشعة إكس، وهو فيلم حساسٌ جداً للأمواج ذات الطول القصير، وسترى أن لدي فرصة للنجاح!».

«يبدو الأمر منطقياً! أتسمح لي أن أصاحبكَ في محاولتكَ!؟».

«يسعدني ذلك! على الرحب والسعة! إن كنت تقدر على قيادة دبابة! أود أن أصحب كارنز معي، ولن تسع الدبابة إلَّا اثنين مع السائق».

«يمكنني قيادة جرار!».

«جيد! أنتَ إذن سائقنا. سننطلق الليلة، فاستعد! أمَّا اليوم فسأنتظر؛ لأنَّ صديقنا الوحش قد أكل أمس، وفرصة خروجه للصيد ضئيلة».

فلمَّا حلَّ صباح اليوم التالي ساد العويل والصراخ في الساعات الأولى منه، وكانت تصدر من جوف الكهف. فلمَّا أسدل الظلام ستوره عليهم، تبيَّن للحرس أن الصوت يزداد قرباً، فازداد ترقب الحرس وتوترهم، وكانوا على استعداد للهرب والتفرّق كما جاءتهم الأوامر. وفي قرابة الثانية صباحاً صعد الطبيب وكارنز على ظهر الدبابة يرافقهما الرقيب ليفنغويل، وشرعت الدبابة تدبُّ ببطءٍ في بطن الكهف. وأضاء ضوءٌ في مقدمة الدبابة طريقهم، وكانت الخراف البائسة تسير ضمن حظيرةٍ على مسافةٍ منهم.

قال الطبيب محذراً: «راقب الخراف جيداً يا كارنز! فما إن يحصل شيء لها أطفئ الضوء الكشَّاف، ودعني أحاول التقاط صورة، وما إن أفلح في مسعاي حتى أخبرك، فيمكنكَ عندها اقتناصه. أيها الرقيب! عندما ألتقط الصورة، التفت بالدبابة عائداً إلى وصيد الكهف، وإن حالفنا الحظ فسنخرج!».

وولجت الدبابة في الكهف ببطء، وجعلت الخراف تثغو وهي تحاول التخلص من القيود الَّتي تمسكها. كان من المستحيل أن يُسمع صوتٌ يفوق صوت محرك الدبابة، غير أن الطبيب بيرد تقدم وقد لمعت عيناه.

قال: «أشم رائحة المسك! استعدا للقتال!».

وما إن قال قولته حتى رُفع خروف في الهواء، فثغا مرتعباً ثغاءه الأخير، ثَمَّ فُصِل رأسه عن جسده.

فصاح الطبيب: «أسرع يا كرينز!».

فأطفأ الضوء الكشَّاف، وأشعل الطبيب من فوره الضوء الفوق البنفسجي، وجعل يعايره هنيهةً.

جأر بغتةً: «الأضواء مضاءة، فأسرعا بنا من هنا!!».

وأدار الرقيب الدبابة من فوره متجهاً إلى فم الكهف، ولم يعق تقدمهم شيءٌ بضعة أقدام، ومن ثَمَّ مُنعت الدبابة من التقدم، مع أن المحرك ما زال دائراً، وانزلقت الدبابَة على أرض الكهف. فنظر كرينز إلى جانب من الدبابة خائفاً فرآه انحنى صوبه، وسمع صوت نزعٍ عنيفٍ، وتمزق جزء من الدبابة المعدنية الثقيلة. وانحنى الطبيب

بيرد ليلتقط شيئاً من الأرض، ثمَّ سرعان ما استوى، ورمى بشيء في الظلام. فسطع ضوء، وتناثر الفوسفور المضيء في جميع الاتجاهات. وتحررت الدبابة بغتةً مماَّ أمسكها، واندفعت تدبُّ بأقصى سرعتها، وسمعوا في الوقت نفسه صوت زئير وزعيق يتخلل الدخان.

صاح الطبيب: «أسرع!»، ورمى بقنبلةٍ أخرى.

وأطلق الرقيب ليفنغويل عنان دبابته، فوصلوا إلى فم الكهف من دون عائق.

قال الطبيب وهو يضحك في خفوت ويخرج من دبابته: «يُخيَّل إليَّ أن صديقنا هنا لا يمانع بالعبور من السَّاتر الفوسفوري الَّذي أطلقتُه. فهو أصيب بحروقٍ شديدةٍ في ذاك اليوم ولا ريب، ولربما لم يتأثر اليوم. أين الرائد براون؟».

فتقدم الضابط الآمر، فقال له الطبيب: «ادفع بخروفين إلى جوف الكهف أيها الرائد، فإني أريد أن جعل بطن ذاك المخلوق مملوءاً وأبقيه هادئاً بضع الوقت. سأذهب لأظهِّر أفلامي».

وجعل الرقيب ليفنغويل وكرينز يرنوان من فوق كتف الطبيب وهو يُظَهِّر الأفلام في حوض التظهير. وبدأت خطوط غامضة ولُطخ تظهر في أحد الأفلام، غير أن الشكل لم يكن محدداً. رمى الطبيب الأفلام في حوض تثبيت واستوى.

قال: «ظهر لدينا شيء ما يا سادة، لكنني لستُ على يقين ما هو. يستغرق تثبيت الصورة في هذه الأفلام خمس عشرة دقيقةً، ومن ثمَّ سنعرف ما هو!».

وبعد قرابة ربع ساعة سحب الفيلم الأول، وأمسكه في الضوء،

فأظهر الفيلم فراغاً. فتنهد خائباً وهو يرفع الفيلم الثاني والثالث من حوض التثبيت، وكانت النتيجة نفسها مع الفيلم الرابع.

قال كارنز لاهثاً: «يا إلهي!!».

وظهرت في الوعاء صورة الأجزاء الخلفية للخروف بوضوح، يمسكها وحشٌ مهولٌ ممَّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىً قلب بشر، ولو كان قلب مدمنٍ الأفيون. وكان طول الوحش - بالحكم على الخروف - قرابة عشرين قدماً، ينتأ من جسده رأسٌ يشابه رأسَ ضفدع بالغ، وله فكَّان هائلان مفتوحان. لكنه كان بلا أسنان، فدهش المراقبون الثلاثة لما رأوا وعجبوا!! وقد حلَّت محل الأسنان صفوف من عظام، وكان جسده طويل يشبه جسد الأفعى، يحمله أرجل ضخمة، تنتهي بأقدام لها ثلاثة أصابع طويلة مزودة بمخالب مسننة. وكان العجب العجابُ في هذا المخلوق، وأشد ما فيه رعباً قوائمه الأمامية؛ فقد كانتا طويلتين جداً ونحيلتين، تنتهيان بيدين مشوهتين ضخمتين، عليهما قشور ولطخ، وتمسكان بالخروف كما يمسك البشر. وكان له عينان كبيرتان وكأنهما وعاءان، تحدقان بالمصورة بتعابير شيطانية خبيثة جعلت كارنز يرتعد.

فقال الرقيب مستغرباً: «وكيف أوتي لهذا المخلوق العبور من الشق الَّذي فحصناه!!؟».

فحك الطبيب بيرد رأسه، وغمغم: «ليس برمائياً! وهذا يظهر من شكل الأطراف وانعدام الذيل. ومع ذلك، فإن له قشور السمك. لا يتطابق هذا مع أي مستحاثة سجَّلناها، وإني أميل للاعتقاد بأنه

فريد من نوعه. ولا غرو في أن نظامه العصبي أوليّ، بالحكم على انعدام الجبهة عنده وبنيته العامة. له قوة هائلة، ومع ذلك تبدو ذراعيه ضعيفتين».

فقال الرقيب ملحّاً: «وهو مع ذلك لا يستطيع المرور من الشق!!».

قال الطبيب: «هذا واضح جليٌّ! مهلاً! انظرا إلى هذا!!».

وأشار إلى التفاوت العظيم بين طول القوائم الأمامية وعرضها، ثمَّ إلى الأرجل الخلفية.

«إمَّا أن هذا تشوه كبيرٌ في صنفه، وإما أن ثمَّة أمراً غريباً في بنيته، فلا حيوان نعرفه يمكن أن ينتصب هكذا».

وأدار الفيلم على جهته الأخرى، وأطلق صيحة استغرابٍ.

قال بنبرات حادة: «انظرا إلى هناك!! هذا المخلوق يستطيع النفاذ من شق! انظرا إلى ذراعيه ويديه! ستجدان الجواب. هذا المخلوق طويلٌ عريضٌ، غير أنه لا يقيس من الأمام إلى الخلف سوى بضعة إنشات، والشيء نفسه ينطبق على رأسه الَّذي يشبه الضفدع. تطور هذا المخلوق ليعيش ويسير داخل كهوف وطيئة السقوف، وأن يعبر من خلال شقوق عرضها بضعة إنشات. إن عظَم جرمه في بعدين فقط!».

قال كارنز وهو يعاين الفيلم: «أنتَ على حق!!».

قال الطبيب: «لا ريب في هذا! انظر إلى تلك المخالب أيضاً يا كارنز! هذه المادة ليست عظماً، بل لباناً. هذا المخلوق صغيرٌ بائس، لم يبدل أسنانه بعد. لا بدَّ من أنه صغيرٌ؛ حتى استطاع الولوج في أركانٍ من الكهف لم يلج أحد من جنسه إليها من قبل».

فقال الرقيب: «وكم حجم البالغ منها!؟».

قال الطبيب: «الله يعلم! إني أدعو الله ألَّا نُضطر إلى مواجهة أحدها لنعرف مقدار حجمه!! والآن، ما دمنا عرفنا ما نقاتل فيجب أن نعرف كيف نقاتله».

قال الرقيب مقترحاً: «قنابل كبيرة الانفجار!!؟».

«لا أظن! بنظام عصبي بدائي مثل الَّذي يملكه، يجب علينا أن نمزقه إرباً إرباً حتّى نقتله، وإني حريصٌ على إبقائه حياً لدراسته علمياً. عندي فكرة! لكنني سأدرسها بعناية قبل تنفيذها. أرسل لي في طلب عامل الراديو!».

بدأ عمال الميكانيك في المكتب في اليوم التالي بتفكيك الجهاز من الدبابة، وبتركيب جهاز دقيق آخر. وقبل أن ينتهوا من تركيبه وصل جهاز آخر من واشنطن، وهو جهاز يوصل بالجهاز الجديد. وأخيراً أعلن الطبيب بيرد أنه مستعد!!

وسيقت ثلاثة حملان إلى الكهف بتوجيهاته، ورُبطت هناك. وبقيتَ إلى صباح اليوم التالي سالمة لم يمسسها أذى. فلمَّا حلَّ ليل الليلة التالية سمعوا الزعيق والزئير نفسه يصدر من أجواف الكهف، واختفى حملان في الصباح.

قال الطبيب: «سيبقيه هذا هادئاً ليلةً أو اثنتين. والآن إلى العمل!».

واندفعت الدبابة إلى جوف الكهف، تجر خلفها كبلين يتصلان بمولدٍ خارج الكهف، بالقرب من مربط الحملان. كان هذا المحرك

هو القوة الدافعة الَّتي تشغل مولدين: أحدهما كبير والآخر صغير. رُكِّب الأصغر على منصة على عجلات، تحتوي أيضاً على فجوات الشرارة والعاكسات والأجهزة الأخرى، الَّتي أنتجت شعاع الأشعة فوق البنفسجية مستخدم لتصوير الوحش.

ومن المولد الأكبر يخرج قضيبان من نحاس، يصل أحدهما بلوحة نحاسية ضخمة، وضعت على أرضية الكهف. والآخر إلى منصة أقيمت على عوازل خزفية ضخمة، على ارتفاع قرابة خمسة عشر قدماً فوق الأرض. ورُكِّبت مكثفات ضخمة على هذه المنصة، وأعلن الطبيب بيرد عن جاهزيته.

فلمَّا انتهى هذا غادر الجميع الكهف، ما خلا الطبيب، وكارنز، والرقيب ليفنغويل. وقع الثلاثة خلف ضوء الكشَّاف الَّذي أرسل حزمة من ضوء الفوق البنفسجي إلى المنصة حيث رُبط عجلٍ. وأُشغل المحرك خارج الكهف، وجعل الثلاثة ينتظرون قلقين خائفين.

ولم يحصل شيء عدة ساعات، وحاول العجل المربوط أن يتحرك من حينٍ لآخر، فلمَّا وجد أن هذا مستحيل، وقف في مكانه ساكناً كئيباً ينظر تحريره.

ودمدم الرقيب: «أرجو أن يحصل شيء!! فهذا الانتظار يجعلني مرتاباً قلقاً!».

فقال الطبيب بتجهم: «سيحصل! استمع إلى هذا الخوار!».

وازداد الخوار بغتةً حدةً، وكان خوار خوف هذه المرة، وهذا ما افتقدوه سابقاً. وانحنى الطبيب فوق مصباح كشَّافه وعدَّل فيه. وأعطى رفيقيه ما يشبه القبعة، واعتمر واحدة.

قال كارنز في صوت مغيظٍ: «لا أرى شيئاً أيها الطبيب!».

فقال الطبيب: «عندما يأتي الوحش فسنراه لا محالة، ولعلَّك ترى أكثر ممَّا ترى في الواقع!».

قال الرقيب على الفور: «لا أرى إلَّا ظلمة!».

وسرعان ما استحالت الظلمة أمامهم شكلاً غامضاً، فركَّز الثلاثة أنظارهم إلى حزمة الضوء الفوق البنفسجي الَّذي سلَّطه الطبيب على الممر المؤدي إلى جوف الكهف.

صاح كارنز بغتةً: «يا إلهي!!».

وتشكَّل أمامه الوحش المقيت الَّذي رأوا هيئته في الفيلم، وكان في أثناء تقدمه يُصدر جلجلةً وخشخشةً فاقت صوت خوار العجل وهمهمة الجهاز، وانتشرت رائحة المسك وبانت.

وانزلق المخلوق متجهاً نحوهم، ثمَّ استند إلى قائمتيه الخلفيتين، فاتضح بدنه الهائل. ثمَّ التف إلى جانب، فثبتت فرضية الطبيب بيرد بشأن غرابة هيئة المخلوق وشكله. كان جرم المخلوق في بعدين، وازداد تقدماً، وقد مدَّ يديه المريعتين، وكشَّر. واقترب الوحش من العجل المحكوم بالهلاك، وأطبقت عليه في النهاية اليدين المهولتين.

وصدر ضوء باهر، فارتدَّ الوحش على عقبيه وكأن صاعقةً صعقته، وامتلأ الجو برائحة مسك فظيعة وجلدٍ محترقٍ.

فانبرى الطبيب صائحاً: «الحقوا به! أسرعوا!».

فانسل المخلوق عائداً بسرعة، ومدَّ الطبيب بيرد يده إلى حقيبة وأمسك بقنبلة، ورماها، فانفجرتْ القنبلة على ظهر الوحش الآبق، فسُمِع صوت انفجار يصم الآذان.

وصدر عن الوحش صراخ مهولٌ، واستحالت حركته من انسلال ثابتٍ إلى تشنجات وارتعاشات. ورمى ليفنغويل وكارنز القنابل عليه، غير أن الوحش زاد من سرعته. فأطلقوا وابلاً آخر من القنابل، فأصابت إحداها هدفها، وأبطأت من سرعة الوحش، غير أنها لم توقفه.

صاح الطبيب: «أثمة قنابل أخرى؟!».

فتلقى جواباً بالنفي فقال: «اللعنة! سيفلت الوحش منا!!».

واستلَّ كارنز بندقيته الرشاشة من تحت إبطه، وأطلق على الوحش الآبق دفقاً من الرصاصات، فقلَّت سرعة الوحش شيئاً فشيئاً، وأصبحت حركاته تشنجات وتقلصات.

صاح الطبيب: «أبقوه تحت أنظاركم! يمكننا أن نقبض عليه!!».

ولحق الرجال الثلاثة بالوحش الفارّ بحذرٍ شديدٍ، فقادتهم المطاردة إلى أرض يعهدونها.

صاح الرقيب: «هاكم الشق!».

قال الطبيب: «تأخرنا!».

واندفع إلى الأمام، وأمسك بطرف الوحش من أسفل، وحاول بكلِّ قوته أن يمنعه من الهروب، غير أن الوحش استطاع الانزلاق على جنبٍ والنفاذ من الشق في الجدار، واختفى. ورفس الطبيب، فرماه عشرين قدماً على الجدار المقابل في الكهف.

صاح كارنز: «أأنتَ بخير يا طبيب!؟».

«أجل! أنا بخير! ضعوا أقنعتكم وانشروا الغاز! أسرعا! لعلَّ هذا سيوقفه قبل أن يوغل!!».

فعدَّل الثلاثة أقنعة الغاز على رؤوسهم، وأدخلوا أفواه أسطوانتين غازيتين في الشق، وفتحوا الصمامات. وترافق صوت هسهسة الغاز بصوت دوس وقعقعة، لكن الصوت شرع يذوي، وسرعان ما اختفى، وحلَّ محله صمت بهيم.

فلمَّا خرج الجميع من الكهف بعد نصف ساعة، ورفعوا أقنعتهم، قال الطبيب مغضباً: «ها قد هرب منا!! لقد فرَّ!! إيهٍ يا كارنز! متى يمكننا أن نعود إلى واشنطن!؟».

فلمَّا ركبا في عربة القطار المتجه إلى العاصمة، قال كارنز: «ما التقرير الَّذي ستقدمه إلى المكتب أيها الطبيب!؟».

قال الطبيب: «لن أقدم أي تقرير يا كارنز. لم أمسك بالوحش، ولا بجزءٍ منه لأريه لهم. ولن يصدقني أحد. سأبقى متكتماً ولن أنطق ببنت شفة!».

«لكن لديك الصور! ولديك شهادتي وشهادة الرقيب لفينغويل!».

«يمكن تزوير الصور، ولربما أعطيتكما عقاراً مخدراً. على كل حال، كلمتك ليست أفضل من كلمتي. أقول كلمة حق يا كارنز! عندما فشلتُ في جعل التيار أقوى وكافياً لقتله، فإني ارتكبتُ أولى أغلاطي الَّتي ستجبرني على البقاء صامتاً، مع أنني ظننتُ حينئذ أن تياراً بتلك القوة سيكفي. وغلطتي الثانية عندما أخطأتُ في قنبلتي الثانية، مع

أنني اعتقدتُ بما لا يقبل الشك أن ستة ستكفي لقتله. أمَّا خطأي الثالث، فعندما فشلنا في ضخ تركيزٍ كافٍ من غاز السيانيد في الشق؛ إذْ كنا على عجلة من أمرنا. تأثر الوحشُ تأثراً كبيراً بما ضربناه به، ولعلَّه يموت. ولعلَّ ذلك يستغرق ساعات، أو حتى أياماً. لقد شقَّ طريقه إلى جوف الأرض إلى حيث لا يمكننا اللحاق به، ولا إلحاق الأذى به بالمتفجرات والصواعق من دون أن نهدف الأرض فوق رؤوسنا. حتى ولو قدرنا على شقّ طريقنا بالمتفجرات إلى حيث أتى، فإني لن أجرؤ على فتح سبيل لوحوش لا يعلم بأمرها إلَّا الله، فتغزو الأرض!! عندما يفلح الجنود بإبقاء ذاك الشق على حاله ولا يزيدون فيه، فإنه سيصمد أمام ذاك المخلوق وأبويه وكل أنسبائه. وسيبقى كهف ماموث آمناً لاستقبال الزوار مرةً أخرى!! وهذا فحسب ما سأخبر به الناس».

قال كارنز بنبراتٍ حزينةٍ: «يا لها من قصة رائعة ستذهب هباءً!!».

«فلتقصَّها عليهم إذن إن أردت! وليسخروا منك وليستهزئوا!! لا يا كارنز! عليك أن تتعلَّم شيئاً!! إن رجلاً من أمثال بولتون - على سبيل المثال - يعتقدون أن حدوة الحصان تجلب له الحظ، وأن الكستناء تبعد عنه الروماتيزم، ولكن إن أعلمته بحقيقة مثل هذه، شهد عليها ثلاثة رجالٍ أَكّفاء يعول عليهم ومصور بارع، فإنه سيضحك عليك ويهزأ منكَ... أنا سأُبقي فمي مقفلاً!».

قال كارنز وهو يتنهد: «فليكن ما تقول إذن!!».

المترجم في سطور
حسين سنبلّي

ولد في حمص ١٩٧١

إجازة في الأدب الإنكليزيّ. إجازة في التَّرجمة والتَّرجمة الفوريّة -عضو اتِّحاد الكتَّاب العرب، جمعيَّة التَّرجمة، له كثير من الكتب والقصص المترجمة. وقد نشر مجموعة أيضاً في هذه السلسلة..

ترجم كثيراً من الكتب الأدبيّة من بينها: المسرحيات:

الدكتور جوناثان (للأمريكي ونستون تشرتشل) - وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً- أوَّل مسرحيات فاني، (جورج برنارد شو).

من الروايات: الحب في زمن الكوليرا (غابرييل غارسيا ماركيز). حقائق الحب - ليلة حب، (روبرتا لي). الشيخ والبحر، (إرنست هيمنغواي). قصة مدينتين الترجمة الكاملة - أوليفر تويست (تشارلز ديكنز). القرين- المقامر - رسائل من تحت الأرض (دويستويفسكي). بائعة الخبز (كزافيه دي منتيبن).

المترجم كاتب ومترجم له كثير من الإصدارات؛ صدر له في هذه السلسلة غيرُ عمل عضو اتحاد الكتّاب العرب، جمعية الترجمة

المحتوى

الشجرة ٥

غابة الأموات ١٠

في المستنقعات ٢٧

توبرموري ٣٤

هلوسة ستالي فليمنغ ٤٥

ذراتٌ مسكونة ٤٩

الجثَّة على الحاجز ٦٧

شبح الطبيب هاريس ٨٧

الوحش المجهول ٩٥

كهف الرعب ١٠٧

96

الشـــــجرة

فُتِح باب النُّزل، ودخل منه رجلٌ ريفيٌّ عجوزٌ، ومَرَقَ بالقرب من مائدتي، ومن ثمَّ جلس وحده بهدوءٍ شديدٍ على مقعدٍ بجانب النافذة. فتبادلنا النظرات، أو بالأحرى تبادلنا الإيماءات والإشارات؛ لأنني لم أرفع عيني في الواقع إلى وجهه ، فقد كنتُ أرغب أشد الرغبة في سبر أغوار هذا البلد القاسي والسير في أرجائه.

وشرع الرذاذ الدافئ الناعم الّذي تجمَّع صباحاً حول ذوائب الأشجار يتهاطل مطراً غزيراً، وقد اربدَّ وجه السماء واكفهر، وكان النهار يذوي ناشراً في السماء ضوءاً ذهبياً خافتاً.

The Syrian General Book Authority

www.syrbook. gov.sy

E-mail: info@syrbook.gov.sy

هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٢٦م